روافد

ملامح تطبيقية
في منهج الإسلام الحضاري



دكتور محمد كمال حسن

آفاق
٤

روافد

ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري

الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن

ترجمة ومراجعة:

د. عبدالعزيز برغوث

د. يونس صوالحي

د. محمد كمال حسن:

من مواليد ماليزيا سنة 1942م، حاصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا بنيويورك، عمل أستاذا ومديرا للشئون الأكاديمية. ثم مديرا للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ورئيسا لكرسي ابن خلدون التابع لها. ثم عين من قبل الحكومة الماليزية ممثلا وحيدا في لجنة الخبراء المبرزين التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي (2004 - 2005) . له خمسة كتب وعشرات الدراسات .

روافد

نهـر متعـدد ... متجـدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة - رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 2487106 (956+) - فاكس: 2468134 (965+)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

الطبعة الأولى - دولة الكويت

يونيو 2008م = جمادى الآخرة 1429 هـ

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw

تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: 195 / 2008

ردمك: 978-99906-678-2-0

فهرس المحتويات

٧

تصديـــر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين.

يواصل قطاع الشؤون الثقافية التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت إصداراته ضمن مشروع « روافد » الفكري والأدبي والفني، ذلك المشروع الذي يتوخى إثراء الساحة الفكرية والأدبية، وإحداث حوار فكري متواصل حول مختلف الإشكالات والقضايا التي تؤرق العقل المسلم المعاصر.

واليوم يتجدد اللقاء مع الإصدار الرابع من «آفاق» ، وهو يحمل موضوعا حيويا يتعلق بإبراز ملامح منهج الإسلام الحضاري الذي غدا ملمحا بارزا في الفكر الإسلامي المعاصر.

وتنبع أهمية هذا الكتاب من موضوعه الذي يمثل ملتقى لتقليب النظر في طبيعة المشروع الحضاري الإسلامي الذي يتجاوز مفاهيم الدولة والسيادة والخلافة ليؤسس لمفهوم الدور الحضاري القادر على تجديد الدورة الحضارية للأمة الإسلامية في زمن تداخلت فيه الحدود والقيم والمصالح والتحديات.

وإذا انضاف إلى أهمية الموضوع كون مؤلف الكتاب يمثل صوتا ضمن المدرسة الفكرية الإسلامية الحضارية التي عايشت وبحثت وحاضرت في إشكالية الإسلام الحضاري ، فإن الكتاب، يكتسي، بسبب ذلك، قيمة إضافية معتبرة.

إن أهمية كتاب:« ملامح تطبيقية في منهج رسالة الإسلام الحضارية» للأستاذ الدكتور محمد كمال حسن ، من ماليزيا، تكمن في العناصر الآتية:

- رصد واقعي لتجربة الارتقاع بالمجتمع من مرحلة التعاطف العام مع الفكر الإسلامي وقيمه، أفرادا ومؤسسات، إلى مرحلة الاهتداء النفسي والقانوني والإداري والاقتصادي والمجتمعي بهدي الإسلام وشريعته.

- دعوة المسلمين إلى الفهم الصحيح لواقعهم وواقع العالم من حولهم، وإبراز كيف أن ذلك الوعي لايتم إلا بالتسلح بالعلوم والمعارف والتقنيات المعاصرة ، مع التخصص والإنجاز الدقيق والتقويم المتواصل للفعل الحضاري التنموي.

- تقديم ملامح كبرى للمقاربة الحضارية في التنمية ، تلك التي تستطيع أن تخرج النخبة والأمة من واقع التردي المشهود.

- العمل على تأسيس مفهوم «نهج الوسطية» وإبراز أسسه ومبادئه وبرامجه وعلاقته بمفاهيم كثيرة مثل التسامح والعدالة وطاعة ولي الأمر والتعاون والحوار الديني والتنوع ، مع الدعوة العاجلة إلى الاهتمام بالعناصر والآليات التي تعزز نهج الوسطية في ميدان التربية الدينية ودعم مراكز ومؤسسات البحث العلمي وتقوية الإعلام ، وتفعيل دور المؤسسات الدعوية والخيرية ، وتقوية أواصر التعاون بين المجتمعات الإسلامية وغيرها..

- التأكيد على قيمة الاجتهاد والتفكير الإبداعي.

- الدعوة إلى ترشيد الصحوة والوعي الإسلاميين لتحقيق أهداف التنمية الحضارية التي تنشدها الأمة.

- الدعوة إلى تشكيل وعي عميق بحقيقة العولمة وواقعها وآلياتها ، وذلك بغية الإفادة من إيجابياتها، ودرء سلبياتها، وإحسان التعامل معها باعتبارها فرصة قابلة لأن توظف في الاتجاه السليم.

- رسم معالم تربوية وفكرية وحضارية لتغيير الذهنية الحاضرة لدى المسلمين ، ومحاولة تمثل خصائص الذهنية الحضارية ، من مثل : القدرة التنافسية، والنظرة الكلية العالمية، والتوجه الوجودي للأمة، والتفكير الحضاري ، والجودة في الوعي والثقافة ، واحترام الوقت ، والاهتمام بالعمق والنوعية بدل الأشكال والمظاهر، وتجسيد قيم الأمانة والمسؤولية.

وقد انضاف إلى كل ما سبق، حرص الكاتب على أن ينطلق من وقائع

وقضايا تتصل بالمحيط الثقافي للعديد من بلدان شرق آسيا ، وفي مقدمتهم ماليزيا وأندونيسيا، مما يعطي للكتاب قيمة خاصة ، وقد يغطي بعضا من النقص المرجعي الملحوظ في الكتابات المرتبطة بتلك المناطق من العالم الإسلامي.

ونظرا لوعي الكاتب بأن الجهات الغربية وغيرالمسلمين لا يصلها الخطاب الإسلامي المكتوب باللغة العربية، لأسباب موضوعية، فقد اختار أن يخاطبها في كتابه باللغة الإنجليزية ، نظرا لإيمانه واقتناعه بوجوب مساعدة تلك الجهات والفئات على استيعاب حقيقة التفكير الإسلامي المعتدل ، والتعرف على خطاب الوسطية .

ويسر قطاع الشؤون الثقافية أن يقدم هذا الكتاب إلى قراء العربية ، بعد أن تمت ترجمته ومراجعته من قبل الأستاذين الفاضلين د. عبد العزيز برغوث، ود. يونس صوالحي، ليسهم في إثراء الحوار المتواصل والمتجدد حول مختلف الإشكالات المرتبطة بنهضة الأمة في إنسانها وتربيتها ومؤسساتها وتنميتها المنشودة. والله الموفق.

مقدمة الترجمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى اللهم على سيدنا محمد الرحمة المهداة للعالمين على طريق الوسطية، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... وبعد،

فهذا العمل الذي نقدمه للقارئ ترجمة لكتاب باللغة الإنجليزية لمؤلفه الأستاذ الدكتور محمد كمال حسن، المدير السابق للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، والرئيس الحالي لكرسي ابن خلدون بالجامعة ذاتها. والكتاب، على الرغم من صغر حجمه، فإنه يعكس عمق تجربة صاحبه وباعه الطويل في العمل الفكري، الذي يجمع بين العمق النظري والتجربة الميدانية العملية.

ومؤلف هذا الكتاب غني عن كل تعريف، فهو معروف باتجاهه الوسطي، وبدفاعه عن قضايا الأمة العادلة، وبخبرته في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين في العالم الإسلامي وفي الغرب على حد سواء.

وهذه الترجمة التي نقدمها للكتاب ليست ترجمة بالمعنى الحرفي الاحترافي، وإنما محاولة لنقل آراء المؤلف وخواطره وأحاسيسه وآماله في أن يرى أمة الإسلام قوية شامخة تستعيد عافيتها الحضارية، وتقوم بدورها الريادي في الدعوة والشهود والتحضر. ولهذا جاءت الترجمة بعيدة عن الحرفية المباشرة، وآثرتُ أن تلتزم روح النص، ونقلته للقارئ كما هو.

ويتناول هذا الكتاب بالدراسة والتحليل أهمية نهج الوسطية الإسلامية وضرورته في نهضة الأمة وفعاليتها الحضارية، محاولا استخراج بعض الدروس والعبر من تجربة المسلمين في عالم الملايو المعاصر، أولئك الذين يخوضون اليوم تجربة التنمية الثقافية والحضارية المخططة والمتوازنة.

ويحاول المؤلف إبراز حقيقة الوسطية الإسلامية وتجلياتها في بعض ممارسات المجتمع وأنشطته النهضوية، مُعرِّجاً على قضايا كثيرة ذات علاقة مباشرة بسؤال التنمية، ودور نهج الإسلام الوسطي المعتدل فيها، والدور الأخلاقي والروحي للأديان وخاصة الإسلام، وتحديات العولمة

ومداخل الرد عليها.

ويهدف الكتاب إلى بيان وضع المسلمين المعاصرين، وطريقهم إلى النهضة في عصر مشبع بقيم العولمة وممارساتها، ويغلب عليه طابع العلمية والتخطيط والمنهجية، ولذلك يطلب من المسلمين أن يتسلحوا بكل القيم والعلوم والمعارف والوسائل والتقنيات الضرورية لنهضتهم، بالإضافة إلى ضرورة إبراز نهج الوسطية الإسلامية في التفكير، والتنظير، والتخطيط، والتنفيذ، والإنجاز، والتقويم لحركة الفعل الحضاري التنموي. ومن ثم يحاول المؤلف تقديم نموذج لتنمية حضارية مؤسسة على نهج الوسطية، وتتبنى المقاربة الحضارية في التنمية، قصد تقديم بعض الدروس واستخراج بعض العبر، وتوفير بعض التوجيهات التي يمكن أن تستفيد منها المجتمعات المسلمة المعاصرة في مشاريعها التنموية الحضارية.

ويشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:

يتناول الفصل الأول مسألة الوسطية بوصفها نهجا في الحياة وقيمة إنسانية وحضارية كبرى في حياة المسلم، وممارسته بوصفه خليفة في الأرض، مطالبا بأمانة الاستخلاف والعبادة والإعمار، ومؤسسا لمفهوم الوسطية الإسلامية من خلال نظرته إلى الأحداث الكبرى التي عصفت بالعالم في النصف الثاني من القرن العشرين وفي بدايات الألفية الثالثة، ومن خلال نظرته لما تعرض له الإسلام والمسلمون من ضغط وتشويه تحت مسميات متنوعة، إضافة إلى سوء الفهم القائم حول بعض المفاهيم الإسلامية مثل الجهاد في سبيل الله، وربطه بالإرهاب والتطرف.

وقد حاول المؤلف تقديم بعض المعطيات حول نظرة الآخرين للإسلام عامة وموضوع الجهاد بشكل خاص، موضحا ومفندًا الكثير من الادعاءات والافتراءات التي لا أساس لها من الصحة، وذلك بصورة متوازنة تجلي مكمن الخلل سواء في واقع المسلمين أو بسبب تأثير القوى الخارجية. ثم حاول التأسيس لما أسماه «نهج الوسطية» الذي يمثل صوت الإسلام الحق

وصوت حضارته التي قدمت للعالم نموذجا رائدا في التقدم والتسامح والتعايش.

وفي هذا السياق عرف المؤلف الوسطية في ضوء توجيهات القرآن والسنة، وتحدث عن بعض المفاهيم ذات الصلة بها، والتي بدونها لا نستطيع أن نفهم الوسطية حقا، مثل: التسامح والعدالة وطاعة ولي الأمر والتعاون والحوار الديني والحضاري مع الآخرين والنظرة التفاؤلية والإيجابية والوفاء بالعهود والعقود والتنوع كطريق لاحترام الآخرين والتعارف معهم.

ثم قدم المؤلف جملة من المقترحات والحلول لتحقيق هذه الوسطية سواء في المجتمع الماليزي أو في المجتمعات الإسلامية الأخرى، مؤكدا بصورة خاصة على بعض البرامج العاجلة التي ستعين على تعزيز نهج الوسطية وترسيخه في الممارسات، مثل: الاهتمام بالتربية الدينية الإسلامية، ودعم مراكز ومؤسسات البحث والعلماء والباحثين، وتقوية الإعلام وتوجيهه ليؤدي دوره الحضاري الفعال، وتفعيل دور المؤسسات الدعوية والخيرية، وتفعيل العلاقة والتعاون بين مختلف المجتمعات الإسلامية ومنظمة المؤتمر الإسلامي. ومن المقترحات العملية التي نبه عليها المؤلف القيام ببرامج مثل: التربية والتوعية بأهمية السلام، دور المعلوماتية والإعلام، ومساهمة المسلمين في برامج المجتمع المدني المحلي والعالمي، وبرامج تعزيز دور المرأة في بناء مجتمع الوسطية، وبرامج الدعوة الإسلامية باستخدام الوسائل الحديثة.

وأما الفصل الثاني، فخصصه المؤلف لتحليل مشروع «الإسلام الحضاري» بوصفه مقاربة تتبعها ماليزيا في إدارة دفة شؤون المجتمع من أجل تحقيق النهضة الحضارية الشاملة. ويوضح هذا الفصل، بما لا يدع مجالا للشك، أن مقاربة «الإسلام الحضاري» لا تعني أبدا اسما جديداً للإسلام أو إسلاماً جديداً، ولكن تعني الرجوع إلى النظرة الإسلامية الكلية المتكاملة التي تعالج قضية التنمية من كل جوانبها وأبعادها الشاملة. فهي نظرة شاملة للتنمية الحضارية للمجتمع كله، بكل أجناسه وأديانه وثقافاته ولغاته.

وقد أطنب المؤلف في بيان المقصود من مقاربة «الإسلام الحضاري» كما تناولتها الوثائق الرسمية، مؤكدا أنها تنمية شاملة للإنسان والمجتمع والأمة الماليزية في ضوء قيم الحضارة الإسلامية وخصائصها. ثم ذكر أن تبني هذه المقاربة يتطلب من المسلمين في المجتمع الماليزي أن يلتزموا الأمور الآتية:

١ - إحياء الاجتهاد والتفكير الإبداعي وتفعيل دورهما في حياة المسلم.

٢ - استرجاع المفهوم المتكامل والصحيح للجهاد الذي يعتبر طلب العلم والتفوق فيه، والحصول على المعرفة والتكنولوجيا والتقنية، والتقدم الاقتصادي من صميم معانيه.

٣ - جعل الجودة والإتقان ثقافة في حياة الفرد والمجتمع.

٤ - نشر الإسلام والدعوة إليه عالميا بوصفه «رحمة للعالمين».

٥ - الاستقلال الذاتي للفرد، والتقليل من تبعيته للآخرين وللحكومة في معاشه وعمله، فالكل ينبغي أن يجتهد لكي يصبح مؤمنا قويّاً في علمه وعمله ومساهمته في تنمية المجتمع.

٦ - نشر ثقافة حب المعرفة والقراءة داخل المجتمع.

٧ - إنهاء القطيعة والفصل بين المعرفة الدينية والمعرفة العلمية المعاصرة؛ لأن كلتيهما مطلوبتان في توازن المجتمع وتطويره.

وعرج المؤلف على ذكر المبادئ الكبرى لمقاربة «الإسلام الحضاري»، وهي:

- الإيمان بالله والتقوى.
- حكومة أمينة وعادلة.
- شعب حر ومستقل.
- تحصيل المعرفة والتفوق فيها.
- تقدم اقتصادي شامل ومتوازن.

- حياة كريمة للمواطن.
- حماية حقوق الأقليات والمرأة.
- الاستقامة الأخلاقية والثقافية.
- حماية المصادر الطبيعية والبيئية.
- تعزيز قدرات الدفاع عن الوطن.

وأكد المؤلف أن هذه المبادئ المهمة ينبغي أن تأخذ طريقها إلى التطبيق، وأن تصبح واقعا حيا. وذكر أن النجاح في تحقيق هذا، في رأي العلماء، يكمن في: النية والإخلاص، والفهم الصحيح للرؤية الكونية الإسلامية التي تطورت منها هذه المقاربة، والاستراتيجيات الصحيحة والخطط العملية، والتنفيذ الفعال لها والمتابعة والمراجعة والتقويم لتطبيقها المرحلي والإستراتيجي، وطلب المعونة من الله وتوفيقه.

وفي الفصل الثالث، عالج المؤلف مسألة تفعيل الدور الأخلاقي القيمي للأديان في القرن الجديد وخاصة الدين الإسلامي ونهجه الوسطي الذي يسهم في إحداث التوازان المفقود في حركة الحضارة المعاصرة بصورة عامة وفي واقع الإنسان المسلم المعاصر خصوصا. كما أثار في هذا الفصل قضايا مهمة للغاية مثل: التحدي الضخم الذي تفرضه منظومة الحداثة والنهج العلماني على واقع المسلمين، وما ينبغي القيام به لتفعيل دور الإسلام ومنهجه الوسطي في تجنيب الأمة كوارث على مستوى الفكر والفعل والممارسة، ومن ذلك ردود الأفعال الإسلامية إزاء هيمنة منظومة القيم والممارسات العلمانية على الحياة، وظهور صحوة إسلامية، ووعي إسلامي عارم ينبغي ترشيده ليحقق أهداف التنمية الحضارية التي تنشدها الأمة.

كما نبه المؤلف إلى المخزون الروحي والأخلاقي للإسلام وقدرته على تفعيل واقع المسلمين وحياتهم إن هم تمكنوا من فهمه ووضعه في سياق التطور العام للأمة وللعالم.

والقضية الأخرى التي أثارها هذا الفصل هي مسألة الانحطاط الأخلاقي في أكثر المجتمعات تقدماً.

وقد عدد المؤلف الكثير من صور هذا الانحطاط الأخلاقي وخطورته على المجتمع الغربي ذاته، ناهيك عن المجتمعات الأخرى. ومما خلص إليه المؤلف: أن التقدم العلمي والتقني والتكنولوجي لا يستطيع أن يحقق التوازن في حياة المجتمع وحركة الحضارة إذا لم يكن مؤسَّساً على قيم وأخلاق صحيحة. وأشار المؤلف إلى القيم التي تزخر بها الأديان، وكيف أنها تستطيع المساهمة في حل مشكلات العالم الحديث. وفي السياق ذاته يبين المؤلف الأهمية القصوى للإسلام ومنهجه الوسطي المؤسس على التوازان والتكامل من خلال ضبط حركة الفعل الحضاري والتنمية بالقيم والأخلاق، مما يساهم في إنقاذ العالم الحديث من المشكلات الكبرى سواء الأخلاقية أو البيئية أو المتصلة بحياة الناس ومعاشهم.

وعلى هذا الأساس، حاول المؤلف بيان دور النخب السياسية والعلمية والفكرية والدعوية والدينية والاجتماعية في تفعيل دور الدين وترسيخ معاني ووظيفة «المسلم الخليفة» الذي يعمل على تحقيق العبودية لله والإعمار للكون، والإصلاح للمجتمع على بصيرة ورشادة.

وفي الفصل الرابع تناول المؤلف الوضع الحضاري للمسلمين في العالم الملايوي – الإندونيسي في بداية الألفية الثالثة، راسماً صورة واقعية للتحديات الكبرى التي يواجهها المسلمون اليوم على مختلف الجبهات والمجالات مثل: المجال السياسي والتربوي والاقتصادي والتكنولوجي والأخلاقي... إلخ.

كما بيَّن المؤلف في هذا الفصل أهمية صحوة الإسلام وقوته الكامنة في توجيه المسلمين إلى الطريق الصحيحة في النهضة الحضارية، ويوضح كيف أنه على الرغم من التحدي الذي وضعته أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م على المسلمين عموما ومسلمي جنوب شرقي آسيا خصوصا، إلا أن

الرؤية الإستراتيجية الحكيمة غلبت نهج الوسطية والنظرة المتوازنة للواقع والتحديات على كل أنواع التطرف وردود الأفعال الأخرى التي لا تخدم مشروع التنمية الحضارية المتكاملة.

وأشار المؤلف في هذا الفصل كذلك إلى الأهمية الخاصة للسياسات والإستراتيجيات والخطوات التي اتخذت من أجل مواجهة التحديات الجديدة بفعالية وتوازن وخاصة في ميدان التربية والسياسة والاقتصاد والتكنولوجيا، ودعم موقع القيم والأخلاق في مشاريع النهضة الحضارية. كما حاول المؤلف أن يوجه القارىء إلى الكثير من المعلومات المهمة حول واقع المسلمين وأحوالهم في هذا الجزء من العالم الإسلامي، وأهمية الإسلام والقيم في حياتهم.

وخلص المؤلف في هذا الفصل إلى تثبيت بعض التوجهات الإيجابية والسلبية التي تتخلق وتنمو في أوساط أمة المسلمين في عالم الملايو، ونبه إلى ضرورة معالجة بعض السلبيات قبل أن تتفاقم وتتحول إلى مشكلات تعيق تطور المجتمع.

وأما الفصل الخامس، فتناول بالتحليل مسألة العولمة وتحدياتها الضخمة على المسلمين عموما وعلى المسلمين في ماليزيا خصوصا، وضرورة تشكيل الذهنية والعقلية القادرة على استيعاب التحولات العميقة في العالم، ومواجهتها بشكل منهجي يخضع للعلم وللتوجيهات الاستراتيجية المخططة. وحذر من النظرات الجزئية، والإسقاطية التي لا تضع العولمة في سياقها العالمي والكوني العام؛ لأنها بطبيعتها متعددة الجوانب ومتشابكة في بنيتها ووظائفها وديناميكياتها. فحينما ننظر إليها في سياق التطور العام للعالم الإسلامي وصلتها بالعالم الغربي الحديث، فإن ما يغلب على نظرتنا هو محاولة إبراز نزعتها ذات الصبغة التوسعية والاستعمارية التي تسعى إلى تحقيق الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية والتقنية للنموذج الحضاري الغربي على حساب نماذج العالم الأخرى، وهذا أمر صحيح في

هذا السياق، ولكن العولمة كذلك تشتمل على جوانب كثيرة وفرص متعددة لمن يستطيع قراءتها وتوظيفها بشكل صحيح.

وأشار المؤلف إلى أهمية التعرف الواعي على سلبيات العولمة والعمل العلمي على تجاوزها، كما أشار في سياق آخر إلى أن لكثير من المسلمين، وبشكل خاص في المجتمع الماليزي، بعض الاختلالات في الذهنية والنظرة المتكاملة إلى الأمور؛ وهو ما يستدعي العمل على تغيير الذهنيات والعقليات وتأهيلها لتحقيق شروط المواجهة المتكافئة والفعالة مع العولمة.

وقد أولى هذا الفصل عناية كبيرة لمسألة الذهنية ومداخل تغييرها التربوية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية، لما لها من دور حاسم في النهضة الحضارية، كما عدَّد بعض خصائص الذهنية الحضارية الفعالة مثل: القدرة التنافسية، والنظرة الكلية العالمية، والتوجه الوحدوي للأمة، والتفكير الحضاري، والجودة في الوعي والثقافة، والولاء للأمة ولقيمها الكبرى، وحب العلم والمعرفة، واحترام الوقت، والاهتمام بالعمق والنوعية بدل الأشكال والمظاهر، وتجسيد قيم الأمانة والمسؤولية بوصف المسلم خليفة يقوم بواجب العبادة والإعمار.

لقد قدم المؤلف من خلال الفصول المتنوعة معلومات مهمة، ومقترحات كثيرة، وتوجيهات عملية ستفيد كل من يريد أن يشق طريقه على طريق الوسطية بوصفها نهجاً للتنمية الحضارية الشاملة والمتوازنة.

وفي الأخير، يسرنا أن نقدم جزيل الشكر لكل أولئك الذين أسهموا في إنجاز هذا العمل. وبالله التوفيق.

مدخل

هذا الكتاب ألفه أكاديمي ملايوي مسلم، مقدراً أن الشريحة الأساسية التي يتوجه إليها الكتاب بالخطاب هي شريحة غير المسلمين بالدرجة الأولى سواء في ماليزيا أو في أصقاع العالم الأخرى، ثم الكتاب المسلمين في العالمين العربي والإسلامي، مذكرا بالدور الحيوي المنوط بهم في هذه اللحظة التاريخية من تطور أمتنا والعالم من حولنا.

ويشتمل الكتاب على خمسة مقالات أساسية، حُررت في ضوء ما يشهده العالم من تحديات كبرى ناجمة عن حركة العولمة، وتأثيرات «النظام العالمي الجديد»الذي ظهر في أعقاب حوادث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م.

إن صوت الوسطية الإسلامية الذي ينتشر في ماليزيا المعاصرة أمر طبيعي ومتوقع؛ لأن النظام السياسي في ماليزيا، وطبيعة الثقافة، والفكر الإسلامي في عالم الملايو قد نمت وتشكلت جميعها في وسط متعدد ومتنوع.

وعلى الرغم من أن المسلمين الملايويين يُشكلون الأغلبية في ماليزيا، فإنهم يعيشون مع غير المسلمين من الإثنيات والأجناس والأديان الأخرى، ويتعايشون معهم في سلام ووئام.

ويمكن القول إن ماليزيا فريدة حقا من عدة أوجه، هي:

أولا: أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، إلا أن أصحاب الأديان الأخرى لهم الحق في ممارسة شعائرهم وطقوسهم الدينية في سلام ووئام.

ثانيا: السلطة السياسية متقاسمة فيما بين الإثنيات الكبرى مع بقاء القوة السياسية في يد المسلمين الملايويين.

ثالثا: القوة الاقتصادية، رغم ذلك، كانت ولا تزال في يد الصينيين.

رابعا: وعلى الرغم من استمرار هيمنة النظام الاقتصادي الوضعي فإن النظام المصرفي الإسلامي، ونظام التأمينات ونظام الإقراض الرهني

الإسلامي، أصبحت تحظى بإقبال منقطع النظير بسبب السعي الحثيث للمسلمين إلى البحث عن بدائل شرعية للمؤسسات التي تتعامل بالربا والفائدة. وكل هذه التحولات تُدلل على أن ماليزيا تتحول وبسرعة فائقة إلى مركز رائد في المعاملات المصرفية والمالية الإسلامية.

إن كل هذه الأوضاع والعوامل ساهمت في تشكيل ثقافة وطنية جعلت من التطرف السياسي والتطرف الديني نشازاً غير مقبول لدى غالبية المجتمع وأجناسه المتعددة. إن المعادلة الناجحة بالنسبة لكل المجموعات الإثنية كانت على الدوام هي: أن هناك اعترافا وإقرارا متبادلا حول الطبيعة المتعددة للمجتمع، واستشعار الجميع الحاجة إلى الموازنة بين المصالح الخاصة لفئة إثنية معينة وبين المصالح العامة المتعلقة بالاستقرار الوطني الجامع لكل الأجناس والأديان، والأمن الوطني، والسلامة العامة للمجتمع، فلا أحد يتعدى حدود هذه الحريات التي يشتمل عليها الدستور المركزي للدولة الماليزية.

ولهذه الأسباب، فإن صوت الوسطية هو النغمة المفضلة حتى بين أوساط المجموعات الملايوية المسلمة التي اضطرت إلى أن تكون في صف المعارضة في التاريخ المعاصر لماليزيا منذ بدايات خمسينيات القرن الماضي.

إن صورة الإسلام والمسلمين – وللأسف الشديد- قد تم تشويهها واستحقارها في عالمنا اليوم، وخاصة بعد الأحداث المأساوية للحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ م. وكنتيجة مباشرة لذلك أمست صورة المسلمين- وخاصة في وعي الكثير من الغربيين وغير المسلمين- لصيقة بأعمال العنف، واستغلال المرأة وامتهانها، وعدم احترام حقوق الإنسان والتطرف الديني.

إن «حملة الحرب على الإرهاب» التي يخوضها البيت الأبيض بالولايات المتحدة الأمريكية، ورد فعل المقاتلين من الجماعات الإسلامية، إضافة إلى الهجمة الشرسة وغير العادلة التي تقودها أطراف دولية، أسهمت في

تأجيج التوتر الدولي، وأوجدت أزمات دولية لها تأثيرات عميقة على العالمين الإسلامي والغربي معا.

وبصفتي ملايوياً مسلماً مهتماً، عاش في أمريكا لمدة ثمانِ سنوات، وسافر كثيرا عبر أقطار العالم الإسلامي المترامية، أشعر من أعماقي بالحاجة الملحة إلى توضيح حقيقة الإسلام وخصائصه بوصفه رؤية عالمية للسلم الشامل؛ وخاصة لغير المسلمين خارج ماليزيا وكذلك في داخلها.

لقد اخترت قصداً أن أخاطب وأتحاور مع الطبقة الغربية المثقفة والطبقة الوسطى لغير المسلمين الذين يقرؤون ويتواصلون باللغة الإنجليزية، لأنني عارف بخبايا هذه الطبقة، وبنيتها الذهنية ومواقفها. إنه لمجد في تقديري أن نساعد هذه الطبقة على استيعاب حقيقة التفكير الإسلامي المعتدل الذي يمثله غالبية المسلمين، والتعرف أكثر على خطاب الوسطية من منظور إسلامي.

وهكذا، فإن الفصول الخمسة التي يشتمل عليها هذا الكتاب إنما كُتبت لتحقيق هذا المبتغى. وإن أربعة منها قد عُرضت في لقاءات ونقاشات مع غير المسلمين في ماليزيا، وكذلك في الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا.

إني آمل أن يتمكن الغربيون عموما وغير المسلمين في ماليزيا خصوصا من تقدير نهج الإسلام الوسطي الذي حاولت الفصول الخمسة للكتاب مناقشتها، وأقدر أن العلاقات بين غير المسلمين والمسلمين ستبقى متماسكة وحميمة على الرغم من الحملات الشرسة، والإسقاطات السلبية ضد الإسلام في وسائل الإعلام الغربية.

في الفصل الأول، ركزت على مسألة الوسطية ومعناها في واقعنا اليوم، والمفهوم الصحيح للجهاد في سياق تلك المحاولات التي تسعى إلى الربط بين المفهوم الإسلامي للجهاد والإرهاب، متمنيا أن تتمكن منظمة المؤتمر الإسلامي من اتخاذ التدابير اللازمة لإعادة إصلاح شؤونها وتفعيلها

بوصف هذا النداء الأساسي حاجة ملحة، إنني أقدر كذلك أن الوقت قد حان لكل الدول الأعضاء في هذه المنظمة المفعلة أن يسعوا لنشر نهج الإسلام الوسطي، نهج الأمة الوسط، التي أراد لها الله سبحانه وتعالى أن تكون «شاهدة على الناس».

وفي هذا السياق، قمت بتسجيل ما أتصوره في رأيي المتواضع سياسات وإستراتيجيات، وخططَا تنفيذية يمكن للدول الإسلامية مباشرتها من أجل نشر رسالة الوسطية الإسلامية. لقد كتبت هذا الفصل في عام ٢٠٠٤م عندما كنت أعمل ممثلَ ماليزيا في «هيئة الخبراء»التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وقد كُلفت بالمشاركة في تحضير وإعداد مقترح ومشروع إصلاح وإعادة هيكلة وتفعيل منظمة المؤتمر الإسلامي، فكانت لديّ الفرصة لعرض مقترحاتي على اجتماعات «هيئة الخبراء»التي عُقدت في كوالالمبور وإسلام آباد.

إنني أعتقد أن بعضاً من مقترحاتي قد قوبلت بترحاب كبير من قِبَل المفكرين المسلمين المتعاونين مع منظمة المؤتمر الإسلامي. ومهما يكن الأمر، فإن الاجتماع الخاص للمنظمة والذي عُقد في ديسمبر ٢٠٠٥م بمكة المكرمة قد أولى اهتماما بالغاً للحاجة إلى أن تعمل كل الدول الإسلامية على تطبيق قيم نهج الوسطية الإسلامية ومبادئها.

وفي الفصل الثاني، حاولت أن أعرض لمفهوم «الإسلام الحضاري» أو المقاربة الحضارية الإسلامية (Islamic Civilizational Apprpach).

وأما الفصل الثالث، فخصصته لتفسير صحوة الأديان بوصفها مؤشراً على تطور إيجابي في سياق تزايد نزعات علمنة الحياة بفضل العولمة، ونزعة هيمنة النموذج الليبرالي المنتصر. وبشكل عام، أرى في صحوة الأديان نداءً داخليا عميقاً لإشباع حاجة الإنسان إلى المعنى، والاكتفاء الروحي، والقيم

الأخلاقية المطلقة. فعلى الرغم من أن الأديان لديها خصائصها المتفردة، واختلافاتها العقائدية الجوهرية، فإنها تستطيع أن تتعاون في الكثير من المجالات المشتركة التي تهم الجميع وتحقق الصالح العام، مثل: محاربة الفساد، وتعاطي المخدرات، والإيدز، والنزعة المادية، ونزعة جماعات اللذة، والأمراض الاجتماعية، ومشكلات الاختلال البيئي. وإنني أشعر أن الدول الإسلامية تستطيع أن تستفيد – وينبغي لها ذلك – من خبرة المؤسسات والجمعيات غير الإسلامية وإسهاماتها في التعامل مع القضايا المذكورة.

وفي الفصل الرابع، ناقشت آثار العولمة، وبشكل خاص السلبية منها على واقع المسلمين بماليزيا الذين هم في غالبيتهم من الملايويين المسلمين. في تقديري أنه ينبغي للملايويين أن يكونوا قادرين على الاستفادة بشكل فعال من الفُرص الإيجابية التي تُتيحها العولمة، وأن يتجنبوا التأثيرات السلبية القاتلة التي تحملها؛ إذ ينبغي لهم أن يخضعوا لعملية تحول نسقي نوعي paradigm shift في الذهنية mindset، لكي يتمكنوا من تحقيق أهدافهم، ويواجهوا ظروف الواقع بفعالية وإيجابية. فإذا ما ظلوا راضين بحالهم الذهني الراهن، وبقوا غير جادين في اتخاذ التدابير اللازمة لإحداث التغيير الذاتي المطلوب، فإنه لن يبقى أمامهم إلا لوم أنفسهم إذا ما فاجأتهم أمواج العولمة العاتية في مستقبل الأيام.

وفي هذا الفصل كذلك أرغب في أن أبين لإخواني المسلمين منهم وغير المسلمين أن من أهم خصائص الوسطية الإسلامية امتلاك الشجاعة الكافية للقيام بعمليات النقد الذاتي الموضوعي والبناء للنقائص، ومكامن الضعف التي يعاني منها الإنسان المسلم.

وأما في الفصل الخامس، فتناولت بالدراسة فهمي وتحليلي للإسلام والمسلمين في جنوب شرقي آسيا، والذي يشكل من دول عدد المسلمين فيها هو الغالب مثل: إندونيسيا (٢٣٠ مليون نسمة) وماليزيا (٢٦ مليون نسمة)، وبروناي دار السلام(٣٦٠ ألف نسمة)، ودول يُعتبر المسلمون فيها أقلية

مثل: تايلاند والفلبين وكمبوديا وسنغافورة والفيتنام ومينمار. عالجت الجوانب الإيجابية والسلبية في هذه المجتمعات الإسلامية، فنظرت إلى الإمكانات التي تزخر بها من أجل الإسهام في تطور الحضارة في العالم المعاصر، وكذلك النقائص التي تعيق هذا الإسهام، وأوضحت أن للإسلام في الأرخبيل الملايوي- الإندونيسي دورا حيويا فاعلا في تجسير الهوة الشاسعة بين الغرب والعالم الإسلامي.

الفصل الأول

معالم نهج الوسطية ومقترحات على طريق تجسيده في واقع الأمة

أ- مؤشرات عامة عن وضع العالم الإسلامي

إن الألفية الجديدة تحمل في طياتها تحديات جديدة وخفية للعالم عامة وللعالم الإسلامي بصورة خاصة؛ فهناك صراعات سياسية طويلة الأمد وذات طبيعة معقدة للغاية، تمس المسلمين مثل: فلسطين والشيشان وأفغانستان والعراق وكشمير وحركة المورو بالفلبين. وكذلك معاناة أعداد ضخمة من الأبرياء على أيدي الجماعات المسلحة، والمتطرفين والإرهابيين تبدو وكأنها في تزايد وتصاعد مع الأيام، ثم إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م قد خلقت نوعاً من الشعور جعل الكثيرين من الغربيين يعتقدون أن العالم الإسلامي عالم من الهمجية والعنف أو هو قطاع من «محور الشر».

والكثير من غير المسلمين توصلوا إلى نتيجة – وهي خاطئة بلا شك – أن الإسلام دين عنف واللا تسامح، وقتل وبربرية أو دين إرهاب. وإن البعض من أولئك الذين يتحكمون في وسائل الإعلام وصناعة الأفلام يحاولون بشكل مستمر تقديم الإسلام والمسلمين بوصفهم أناساً ضد الحداثة والتعددية وحقوق الإنسان. والنتيجة المباشرة لذلك تنامى شعور عميق بفقدان الثقة، واتسع الشرخ بين الإسلام والغرب وبين المسلمين والغربيين، وهذا الوضع ينبئ بكارثة حقيقية يصعب على العالم تحملها الآن أو في مستقبل الأيام.

وكما هو الحال في كل الجماعات الدينية، فإن وجود ظاهرة التطرف أو الراديكالية أو الإرهاب في واقع الأمة الإسلامية مرهون ومحدد بمجموعة قليلة جدا أو بجماعات عادة ما تكون خارجة وبعيدة عن الخط الوسطي اللا عنفي العام للأمة لأسباب متعددة. بالإضافة إلى اعتبار– هذه الجماعات – أن الغرب أو القوى الأجنبية مصدر الظلم السياسي والقهر،

وممثلاً لإرهاب الدولة (كما هو الحال في الأراضي الفلسطينية المحتلة)، فإن عوامل مثل الفقر المستدام، والعجز المادي، واللامساواة الفادحة، والفساد المستشري، ونقص فرص النمو الاقتصادي تعتبر كلها من الأسباب الجوهرية لتطرف بعض المسلمين ولجوئهم إلى الراديكالية والعنف. وزيادة على ذلك، فإن غالبية المسلمين يمثلون أكثر الطبقات البشرية فقرا وأمية وضعفا وانقساما في العالم.

إن المجموع السكاني للدول التي تمثلها منظمة المؤتمر الإسلامي تساوي خمس سكان العالم، وتنتشر على ثلاث قارات كبرى، وممثلة في الأمم المتحدة بـ٥٧ دولة من مجموع ١٩١ دولة، وجملتها لا تتمتع إلا بمعدل فرص تعلم أقل من ٥٠٪، كما أن مؤشر النمو البشري في دول منظمة المؤتمر الإسلامي يُعد من أضعف المعدلات في العالم، في الوقت الذي تمتلك فيه هذه الدول ٧٠٪ من مصادر الطاقة في العالم، و٤٠٪ من أسهم المواد الخام في العالم، فإن نصيب دول منظمة المؤتمر الإسلامي لا يكاد يتراوح بين ٦ إلى ٨٪.

ب - محاولة لفهم الوسطية في إطار مفهوم الجهاد

إن مفهوم الجهاد في سبيل الله كما تدل عليه نصوص القرآن الكريم وتشرحه أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام قد وظفت من طرف دعاة العنف والإرهاب ضد مصالح غير المسلمين من أجل تسويغ هذه الأفعال، ولا شك في أن مفهوم الجهاد في الرؤية الإسلامية مهم للغاية، ولكن معناه وأهميته يتجاوز مجرد المعنى اللفظي الحرفي لمعنى القتال المادي والجسدي أو الحرب ضد أعداء الإسلام كما كان ذلك مفهوما في زمن النبي عليه الصلاة والسلام. وهناك حاجة ماسة من قبل المسلمين وغير المسلمين لمحاولة تفهم المعنى الشمولي المتكامل والحضاري للجهاد، ودور الإسلام بوصفه مصدراً ومهداً وداعياً للرحمة والتسامح (رحمة للعاملين).

الجهاد والإرهاب:

إنه لمن المؤسف حقا أن يصبح الإسلام والمسلمون اليوم المستهدفَ الأولَ للدعاية السلبية المغرضة في وسائل الإعلام الغربية، استمراراً لما أسماه إدوارد سعيد «تغطية الإسلام» (Covering Islam). إن ما قاله في دراسته الصادرة عام ١٩٨٠م عن «تغطية الإسلام» يبدو أكثر واقعية وارتباطا بوضعنا الراهن.. «لم أتمكن من اكتشاف أية فترة في تاريخ أوربا أو أمريكا منذ القرون الوسطى والتي كان فيها النقاش حول الإسلام خارجاً عن نطاق الكيد، والشوفينية والمصالح السياسية» (إحسان وقيداوي، ١٩٩١، ص٢٦٤)، وفي السيناريو القائم، والذي وصفته الحركة العالمية للعدالة بـ «إرهاب الحقيقة»(terrorizing the Truth) أو «صياغة الصورة المعاصرة للإسلام والمسلمين في الإعلام والسياسة والثقافة»، ويزداد الوضع صعوبة وخطورة عندما يتعلق الأمر بمعرفة الحقيقة حول المفاهيم والظواهر الإسلامية.

ومع ظهور كتاب بنجمين بربر (Benjamin Barber) المعنون بـ(الجهاد في مواجهة عالم الماك) (Jihad vs. McWorld١٩٩٥) فإننا نُبعد النجع كثيرا عن الحقيقة.

وفي العالم غير الإسلامي اليوم، يُفهم «الجهاد»بصورة عامة على أنه «الحرب المقدسة»أو أي نوع من أفعال الإرهاب، ويُربط مباشرة بالإسلام والمسلمين. والحملة الدعائية الشرسة المسماة «الحرب على الإهارب» قد نجحت في تغطية الحقيقة وتشويهها، وبشكل خاص نضال أولئك الذين يقاتلون من أجل الحرية الحقيقية؛ بحيث أصبحت صورة أولئك المسلمين الذين ينددون بالعنف، ويقفون ضد التطرف أنهم إرهابيون بالفعل أو مشاريع لإرهابيين قادمين. بالإضافة إلى هذا، فإن التعريف المفضل «للإرهاب» بصورة ذكية يستبعد تلك الدول المتعجرفة والمعتدية التي لديها

مشاريع توسعية أو تحاول نشر الهيمنة العالمية.

إن مفهوم «الجهاد» لغة يعني «بذل الوسع»أو «القتال». والجهاد في سبيل الله مفهوم مهم جدا في الإسلام؛ إذ القرآن الكريم يجعله من صفات المؤمنين الصادقين.

إن المجال الدلالي الديني للجهاد وحدوده يشتمل على «الجهاد الداخلي»- أي الجهاد ضد الشيطان والشهوات والهوى في نفس الإنسان ودواخله – كما يشتمل على الجهاد المادي الجسدي ضد الأعداء الخارجين والقوى الظالمة إذا كان مشروعا ومنضبطا بتعاليم الإسلام.

وفي رأي فضل الله الأصفهاني (و/ ٨٦٠هـ – ١٤٥٦م) - وهو عالم مسلم من القرن السادس عشر الميلادي– : هناك أربعة أقسام للجهاد: أولها تبدأ بجهاد الإنسان ضد نوازع نفسه وشهواتها، وثانيها الجهاد ضد الشيطان، وثالثها الجهاد ضد الكفار المعتدين، ورابعها الجهاد ضد المنافقين المقاتلين الحاقدين.

الجهاد ضد شهوات النفس:

هناك أربع مراتب للجهاد ضد النفس وشهواتها: «الأولى الحصول على المعرفة بالعقيدة الإسلامية (الإيمان بالله). والثانية هي اتباع مقتضيات الإيمان وتعاليمه. المرتبة الثالثة للجهاد هي دعوة الناس إلى معرفة التوحيد والإيمان الصحيح وتعليم الأميين الجاهلين به. المرتبة الرابعة للجهاد هي أن تكون صابرا ضد المشقات والأذى الذي يواجهك في سبيل نشر الدعوة والتعامل مع الجمهور.

الجهاد ضد الشيطان:

وفيه مرتبتان، الأولى: هي رفع كل أنواع الأوهام والشكوك التي يوسوس بها الشيطان في عقل الإنسان، والثانية هو التخلي عن العجب فيما يتصل

بالشهوات والهوى.

الجهاد ضد الكفار المعتدين والمنافقين الحاقدين:

ويشتمل على أربع مراتب، وهي: الجهاد العقلي والشفوي والمالي والجسدي.

إن الجهاد ضد الأشخاص المستبدين والمهرطقين والمبتدعين له ثلاث مراتب هي: الأولى أن يكون باليد، والثانية باللسان - إذا كان الإنسان غير قادر على وقف الظلم باليد -، والثالثة يكون بالقلب إذا كان الإنسان غير قادر على دفع الظلم باللسان. وفي المجموع هناك ثلاثة عشر مرتبة من مراتب الجهاد. (محمد أسلم، ١٩٧٤، ص٤٧٠ - ٤٧١).

وهذه بعض الآيات القرآنية التي تدل على معنى الجهاد:

يقول تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الحج: ٧٨)

ويقول جل وعلا أيضا:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

(العنكبوت:٦٩)

ويقول أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الصف:١٠ - ١١).

ويقول أيضاً: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (التوبة: ٢٠).

ويقول: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة: ٢٤).

إن الكثير من الآيات القرآنية ذات الصلة بموضوع الجهاد بالسلاح، أو التي تدعو المؤمنين إلى مقاتلة الكفار بشدة وحزم وعدم تولية الأدبار كانت من الآيات التي نزلت في مواضع كانت الحرب فيها قد اندلعت بين المسلمين الأوائل والكفار من أهل مكة، أو في الأوقات التي كان لزاما على المسلمين فيها مواجهة المقاتلين المعتدين الذين كانوا دوما أكثر عددا وعدة من المسلمين، أو في أثناء فترات الظلم الواقع على المسلمين من قبل كفار مكة وأشياعهم المدعومين من طرف يهود المدينة. في ظل واقع الظلم والاستضعاف، لم يؤذن فقط للمسلمين بالدفاع عن أنفسهم، ولكن كذلك أصبح واجباً دينيّاً على كل المسلمين القادرين أن يردوا العدوان، ويجاهدوا بدون خوف أو تولي؛ إذ كان من واجب المسلمين المستضعفين في ذلك الوقت أن يجاهدوا ويردوا عدوان كفار قريش؛ لأن قوة الكفار كانت موفورة وأكثر عدة وعتادا بالمقارنة مع المسلمين. ومع ذلك فإن هناك ضوابط صارمة ينبغي مراعاتها من قبل المجاهدين المؤمنين، فلا يجوز لهم إيذاء النساء والأطفال والتحرش بهم، والشيوخ الكبار والعاجزين، ولا يجوز لهم قطع الأشجار أو إفساد الحرث. وكذلك كان واضحا لكل مسلم أنه إذا جنح المعتدي المقاتل إلى السَّلم فعلى المسلم أن يجنح إلى السلم كذلك. ومن ثم فإن هذه الآيات القرآنية ينبغي أن تفهم في سياقاتها التاريخية الصحيحة:

يقول جل وعلا: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (البقرة:١٩٠ - ١٩٣).

إن السياق التاريخي الصحيح لهذه الآيات الأربع يشير إلى خيانة بني قريظة للعهود التي أبرموها مع المسلمين:

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأنفال:٥٥ - ٥٩)

إن المسلمين وعلى الدوام مدعوون للاستعداد وإعداد العدة ليردوا أي عدوان يقع عليهم. في الغزوات الأولى لمسلمي المدينة كان ضعف الجيش ونقص العتاد مكمنَ الخوف لديهم، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن لديهم خيار آخر غير مواجهة الأعداء المعتدين وإلا سيكون مصيرهم الهلاك وهلاك المجتمع المسلم بأكمله. ومهما يكن الأمر فإذا كان هناك ميل من الأعداء إلى السلم، فإنه ينبغي على المسلمين أن يكونوا على استعداد لقبول السلم والجنوح إليه.

يقول الباري: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ

وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦١ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢﴾

(الأنفال: ٦٠-٦٢)

وفي أثناء فترة الاستعمار، فإن الجهاد باعتباره أداة للكفاح العسكري والسياسي ضد القوى الغازية وظف من قبل قوى المقاومة الإسلامية من الجزائر إلى جزر ميندناو. والمسلمون الذين كافحوا ضد المعتدي الغازي لبلادهم تعلموا من الإسلام أن من واجبهم الديني أن يخرجوا المحتل من ديارهم، حتى إن لفظة «مجاهدين»أصبحت شائعة وشعبية في كثير من مناطق الشرق الأوسط وكشمير وأفغانستان.

وفي الدول الإسلامية المعاصرة التي لم تعد تواجه مشكلة الاستعمار الأجنبي أو الاعتداء من قبل الدول غير الإسلامية، فإن مفهوم «الجهاد» يستخدم بمعناه الواسع – غير القتال- والذي يتضمن معنى النضال من أجل استئصال الفقر، والأمية، والأمراض والجهل. وهذا المعنى الشامل للجهاد هو السائد والمطبق في ماليزيا، بدلا من الجهاد بمعنى الكفاح المسلح.

ومفهوم «جهاد النفس» هو الأبرز في ممارسات المسلمين في جنوب شرقي آسيا لعقود طويلة، ويرجع الفضل في ذلك إلى التعاليم والتوجيهات الروحية للدعاة الأوائل الذين أدخلوا الإسلام إلى هذه المنطقة. في ماليزيا وإندونيسيا من المعتاد أن تسمع المفكرين المسلمين يتحدثون عن الحاجة إلى الجهاد الاقتصادي، والجهاد من أجل الحصول على العلوم والتكنولوجيا، والجهاد ضد الأمراض الاجتماعية والأخلاقية التي تنخر روح الشباب مثل: تعاطي المخدرات، وانتشار الإيدز.

إن ربط مفهوم الجهاد بالإرهاب في الإعلام، وخاصة من قبل إعلام القوى المتغطرسة، أو من طرف المؤسسات المسيحية التبشيرية في الغرب،

يمثل تشويها فظيعا للتعاليم الإسلامية، وكذلك إساءة للمؤسسات الإسلامية التي تعمل من أجل مواجهة الغطرسة والعنجهية الأجنبية أو المخططات التوسعية للقوى الكبرى. وفي الوقت نفسه فإنه من غير اللائق للمسلمين أن يقبلوا بتلك الأعمال المتطرفة التي يقوم بها بعض المسلمين أفرادا كانوا أو منظمات، والتي تعمل كوحدات أو خلايا غير مشروعة ومخالفة للقانون في بعض الدول الإسلامية.

إن مشكلة التطرف الديني بين المسلمين، والمسيحيين، واليهود، والهنود، والسيخ، والبوذيين ينبغي أن تُعالج من قِبَل السلطات الدينية المعنية في تلك البلدان؛ لأن الممارسات الجنونية وغير المعقولة التي يقوم بها هؤلاء المتطرفون أو المسلحون لها جذورها في تربتها الأصلية كما في البلدان الإسلامية. وفيما يتعلق بالإسلام بشكل خاص، فإن العديد من العلماء المسلمين، مثل الدكتور يوسف القرضاوي، قد قدموا دراسات علمية ومنهجية للتعامل مع هذه الظاهرة.

ومن جهة أخرى، فإن مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي والكائن بالمملكة العربية السعودية، قد أصدر بيانات في جلسته السادسة عشرة والمنعقدة فيما بين ١٠-٥ جانفي، ٢٠٠٢، جاء فيها:

تعريف الإرهاب

الإرهاب: عدوان يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم، أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة أو

تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها.[١]

من الواضح تماما، أنه في ظل هذا الكم الهائل من أفعال الاعتداء والافتئات— والتي تعتبرها الشريعة أفعال حرب ضد القوانين وضد عباد الله – لا يوجد هناك أية عقوبات رادعة في القوانين الوضعية.

بالإضافة إلى ذلك، فإنه في رأي مجمع الفقه الإسلامي، هناك أنواع متعددة من الإرهاب، والتي تشتمل على إرهاب الدولة، ومن أوضح صوره وأشهدها شناعة الإرهاب الذي يمارسه اليهود في فلسطين، وما مارسه الصرب في كل من البوسنة والهرسك وكوسوفا، ورأي المجمع أن هذا النوع من الإرهاب من أشد أنواعه خطراً على الأمن والسلام في العالم، وعد مواجهته من قبيل الدفاع عن النفس والجهاد في سبيل الله.[٢]

وفي نظرة مجمع الفقه الإسلامي كذلك، إرهاب الدولة هو أخطر تهديدا لأمن العالم وسلمة، ولذلك فإن الوقوف ضده يُعد دفاعا عن النفس وجهادا في سبيل الله[٣].

العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين:

يقرر الفقه الإسلامي أن غير المسلمين الذين يعيشون تحت حماية المسلمين يعاملون بالعدل والحسنى والإنسانية، وأن أي شخص مُدان بالتعدي على حقوقهم أو إذايتهم أو قتلهم ينبغي أن ينال عقابه وفقاً للقانون. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «من قتل ذميًّا لن يجد أبدا ريح الجنة»[٤]. إن توجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام واضحة للمسلمين أن يكونوا رحماء

---

١ – كتاب: قرارات مجمع الفقه الإسلامي: ص ٣٥٥، ٣٥٦المترجم.

٢– بيان مكة، مجلة رابطة العالم الإسلامي (المترجم).

٣ – مجلة رابطة العالم الإسلامي: يوليو ٢٠٠٢م.

٤ – رواه ابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومتسامحين مع جيرانهم، بغض النظر عن كونهم مسلمين أو غير مسلمين.

والقرآن الكريم يصرح بوضوح أن غير المسلم المسالم ينبغي معاملته بالعدالة والحسنى:

يقول جل وعلا:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الممتحنة:٨-٩).

وفي آية قرآنية أخرى يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة: ٨)

١- نهج الوسطية

سواء اتفق المرء مع تعريف الإرهاب كما وضعه مجمع الفقه الإسلامي أو ذلك التعريف الذي قدمه ريتشرد فالك (Richard Falk) والذي يعرفه بأنه: «أي شكل من أشكال العنف السياسي الذي يفتقر إلى أي سند أو مبرر أخلاقي أو قانوني، بغض النظر عن الفاعل سواء أكان جماعة ثورية أم حكومة». (فارش نور، ١٩٩٧م: ٧٩)، فإنه من الواضح تماما أن الحملة الدعائية المستعرة اليوم تسعى إلى الربط بين الإرهاب والإسلام والمسلمين، ومع ذلك ففي سياق العمل الجدي من أجل الدفع بالصورة الإيجابية الحقيقة للإسلام والمسلمين، هناك حاجة ماسة للقيام بالإصلاح الداخلي الذاتي القادر على مواجهة تحديات استئصال الفقر، وتحقيق العدالة الاجتماعية، ومحاربة الفساد، وتعزيز الحكم الراشد، وترقية جودة التربية والتعليم في

الكثير من الدول الإسلامية اليوم.

وهناك حاجة إلى أن يتعرف المسلمون على الأديان، والثقافات، والحضارات الأخرى في الشرق وفي الغرب باعتبار ذلك من التوجيهات القرآنية التي تحث على التعايش السلمي والتعاون مع المسالمين من غير المسلمين في العالم المعتدد الذي يُفترض أن يشترك فيه البشر جميعا بوصفهم مخلوقات لله سبحانه وتعالى الواحد الأحد.

٢- مفهوم الوسطية وحدوده

«الوسطية» مفهوم مستخلص من الوصف القرآني للأمة الإسلامية على أنها:

أ- «أمة وسط» في سورة البقرة، الآية رقم: ١٤٣، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (البقرة: ١٤٣)

ب- وكذلك التوجيه القرآني الخاص بتجنب السبل والأعمال الدينية المتطرفة في سورة الأنعام:

يقول جل وعلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

(الأنعام: ١٥٣)

ت- وكذلك الحديث النبوي القائل: «خير الأمور أوسطها»[٥]

٥- قال العجلوني في (كشف الخفاء) (٢/٣٩١): حديث: (خير الأمور أوسطها) وفي لفظ: أوساطها، قال ابن الغرس: ضعيف، وقال في المقاصد: رواه ابن السمعاني في ذيل (تاريخ بغداد)، لكن بسند فيه مجهول عن علي مرفوعاً، (المترجم).

ث- وكذلك الأهمية والقيمة التي يوليها الإسلام لطلب العلم الشامل حول العالم الذي نعيش فيه حتى تُنور حياتنا بالعلم النافع والحكمة. فجوهر الوسطية هو في تجنب الإفراط والتفريط والظلم والجور الذي قد يُسبب الإذاية والمشقة للشخص أو لغيره من الناس.

إن موقف أو سلوك الوسطية المبني على المبادىء العقلية السليمة والمدعوم بتعاليم القرآن، والأحاديث الصحيحة، والحكمة هو أحد أعظم صفات المؤمن، تماما مثل فضيلة الصبر- التي تعتبر من أهم فضائل الإسلام – الوسطية لا تعني أبدا التسليم والتنازل عن المبادىء أو التقصير المقصود في أداء الفروض الدينية الواجبة من أجل إرضاء الآخرين.

إن مجال الوسطية وحدودها منبسطة تشتمل على فضيلة العدالة، والتسامح، والتعاون، والطاعة لولي أمر المسلمين، والحوار فيما بين الأديان، والوفاء بالعهود، وتقبل التنوع الثقافي والإثني، وروح التفاؤل. إن المطلوب من المسلمين مراعاة هذه الفضائل وممارستها في تعاملاتهم الاجتماعية والدولية في عالم اليوم، وفي الوقت الذي تُشوه فيه صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربي المهيمنة أو تُسود عبر ما أصبح يسمى بالإسلامفوبيا، والسلوك التنميطي أو الاستمرار في رسم صورة شيطانية للإسلام، دون نسيان بعض ردود الأفعال التي تقوم بها بعض الجماعات المسلحة في بعض مناطق العالم، إنه من الحيوي أن تتبنى الدول الإسلامية والحركات الإسلامية مبدأ الوسطية. إن اللجوء والنزوع إلى الطرق الملتوية أو القصيرة أو الوسائل غير السليمة لحل المشكلات ذات الطبيعة الثقافية والدينية ينبغي مقاومته وصده.

إن القرآن الكريم يزود المسلم بأهم المبادئ والتوجيهات من أجل الالتزام والمرابطة على خط الوسطية ونهجها الواضح. ومن ثم فمن الأهمية ذكر

بعض الآيات القرآنية التي تشير إلى الفضائل والقيم المتعلقة بممارسة الوسطية.

١ - الوسطية

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (البقرة:١٤٣)

ويقول جل وعلا: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (البقرة : ٢٠١)

ويقول جل وعلا: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص:٧٧)

ويقول تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الأعراف:٣١ - ٣٢)

ويقول سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الجمعة: ١٠)

ويقول الحق سبحانه: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟

بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾
(آل عمران: ١٢٠)

ويقول جل وعلا: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٨٦).

ويقول عز من قائل: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (النحل: ١٢٧)

ويقول تعالى: ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (يونس: ٨٥)

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الملك: ٢٩)

ويقول سبحانه: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ (الأنفال: ٦١)

٢- التسامح

يقول جل وعلا: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الممتحنة: ٨-٩)

ويقول عز وجل: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ

يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٠٩)

ويقـول أيضـا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ (آل عمران: ١٣٤).

ويقول سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران:١٥٩)

ويقول جل وعلا: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يوسف:٩٢).

ويقـول سبحـانه وتعـالـى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الحجر:٨٥)

ويقول تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾

(الشورى:٤٣)

ويقول المولى عز وجل: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾
(الزخرف:٨٩)

ويقول الحق سبحانه: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الجاثية: ١٤)

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة الكافرون)

٣- العدل

يقول جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة: ٨)

ويقول سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾

(النحل: ٩٠)

ويقول جل من قائل: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

(النحل: ١٢٦-١٢٨)

ويقول تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(النساء: ٥٨)

ويقول عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـَٔاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـَٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾

(النساء: ٩٢)

ويقول المولى سبحانه: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾

(النساء:١٣٥)

ويقـول سبحـانه وتعـالى : ﴿ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

(المائدة: ٤٢)

ويقـول: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾

(الأعراف: ١٨١)

ويقــول: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾

(الحجرات: ٩)

ويقول: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الحديد: ٢٥).

٤- طاعة الحاكم المسلم

يقول جل وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

ٱلْأَخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (النساء:٥٩)

٥- التعاون

يقول جل وعلا: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفتح: ٢٩).

ويقول أيضا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ (المائدة:٢)

ويقول عز من قائل: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التوبة: ٦)

ويقول أيضا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (التوبة:٧١)

ويقول: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (الكهف: ٩٥)

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ

وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الحجر:٨٨).

ويقــول: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات: ١٠).

٦ - الحوار بين الأديان

يقول تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (العنكبوت:٤٦).

ويقول سبحانه: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

ويقول جل وعــلا: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٩ - ١٤١).

ويقول ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ

ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١٩ - ٢٠).

ويقول جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥).

ويقول أيضا: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (لقمان: ٢٠)

ويقول سبحانه: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ (غافر: ٤)

ويقول عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ (غافر: ٥٦).

٧ - روح التفاؤل

يقول سبحانه: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الزمر: ٥٣)

ويقول تعالى: ﴿ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (يوسف: ٨٧).

ويقول أيضا: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ ﴾ (هود: ٩).

ويقول: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (الحجر: ٥٦)

ويقـول أيضـا: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (الإسراء: ٨٣).

ويقول عـز وجل: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ (فصلت: ٤٩).

٨- الوفاء بالعهود والعقود

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾

(المائدة: ١)

ويقـول أيضـا: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (النحل: ٩١-٩٢).

ويقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(البقرة:٢٧).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ (النساء:١٥٥)

ويقول: ﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا

يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(الرعد:١٩-٢٠).

ويقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الرعد:٢٥).

ويقول أيضا: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المؤمنون:٨).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ (الفتح:١٠).

ويقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (المعارج:٣٢).

٩- التنوع بوصفه وسيلة للتعارف

يقول جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

(الحجرات:١٣)

٣- مقترحات وسياسات على طريق تطبيق نهج الوسطية

أ. سياسات من أجل التنفيذ الداخلي (الجوانب السلبية).

إن المطلوب من الدول الإسلامية هو صياغة السياسات المناسبة من أجل ضمان بقاء مبادئ الوسطية محفوظة وموفورة ومطبقة في واقع الحياة، ومن بين السياسات التي يمكن تبنيها من قبل الدول الإسلامية ما يأتي:

فيما يتعلق (بالأفكار السلبية والتصورات والممارسات والتوجهات وتغيير الذهنية) نقترح:

١- رفض التطرف والراديكالية الدينية.

٢- رفض التطرف العلماني أو الراديكالية العلمانية.

٣- منع الجهاد العسكري غير المشروع الذي تتبناه الجماعات المتطرفة.

٤- رفض ثقافة التسلية وصناعتها المبنية على المتعة واللذة الطائشة.

٥- رفض موقف التكفير واتجاهاته المنتشرة بين الأفراد أو الجماعات المتطرفة.

٦- رفض كل صور الفتنة سواء في مجال الثقافة السياسية، أو الإعلام أو باستخدام وسائل الإنترنت.

٧- رفض كل الأفلام المؤذية والخادشة للحياء، وكذلك البرامج التلفزيونية وبرامج التسلية غير الأخلاقية.

٨- منع التعاليم المنحرفة، والممارسات والشعوذات المنحرفة من قبل المصالح الدينية المختصة.

٩- تغيير العقلية التبسيطية التي تعتبر العالم «أبيض وأسود» في ذهنية بعض المسلمين.

١٠- تغيير النظرة السوداوية التشاؤمية للمسلمين المتطرفين الذين يعانون من اختلالات نفسية أو فكرية معرفية.

١١- تغيير الذهنية الضيقة للجماعات الإسلامية المتطرفة.

١٢- احتواء التأثيرات الخطيرة للدعاة ضيقي الأفق والنظرة، والذين عادة ما يركزون فقط على موضوعات مثل: حتمية القيامة وحتمية مقاتلة الكفار، وخاصة على أجيال الشباب.

ب- سياسات من أجل التنفيذ الداخلي (الجوانب الإيجابية).

لكي تُعزز ثقافة الوسطية، فإن المطلوب من الدول الإسلامية الانخراط في نشر وتنفيذ الإستراتيجيات الآتية:

١- ترقية القيم الأخلاقية العليا ونشرها في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والوطنية؛ وذلك من أجل بناء المجتمع الملتزم أخلاقيا.

٢- ترقية برنامج الاستقامة الوطنية ونشره من أجل محاربة كل أنواع التعسف والفساد وسوء إدارة قطاعات المجتمع العامة والخاصة.

٣- ترقية قيم الحكم الراشد، وسيادة القانون والمساواة أمام القانون.

٤- ترقية المشاركة السياسية، وتعزيز دور الحكومة الممثلة أو الإصلاح الديمقراطي في ضوء روح مفهوم الشورى الإسلامي.

٥- التأكيد على ضرورة تطبيق مبدأ الفصل بين السلطات، واستقلالية القضاء وسيادة العدالة.

٦- ترقية الحقوق الأساسية للإنسان.

٧- الالتزام بمبدأ المساندة المشتركة من أجل دعم روح الأخوة الإسلامية ورابطتها.

٨- استئصال شأفة الفقر، ومحاربة الأمية واستغلال الأطفال في

الأعمال المهينة أو الاستعباد.

٩- ترقية ثقافة الحوار الحضاري والحوار بين الأديان مع الغرب والشرق على حد سواء.

١٠- ترقية فكرة «الجهاد السلمي» في مختلف المجالات مثل: الجهاد الاقتصادي، والجهاد التربوي، والجهاد الفكري، والجهاد البيئي، والجهاد الأخلاقي، والجهاد ضد الفقر والجريمة والمخدرات والإيدز وغيرها.

١١- ترقية عدم التطرف وعدم الغلو في الحياة الدينية.

١٢- ترقية ونشر فكرة التسامح والتقبل للثقافات، والأديان، والحضارات الأخرى ما دامت كلها تتعامل وتنشط في ظل سيادة القانون والدستور الذي يحكم الدولة والمجتمع.

١٣- ترقية روائع وإسهامات الحضارة الإسلامية في الأندلس وتأثيرها في الغرب والعالم، وخاصة فيما يتعلق بأفكار التسامح، والتعايش السلمي بين الأديان الإبراهمية الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية)، وكذلك إسهامات العلماء المسلمين في مجال العلوم والتكنولوجيا.

١٤- مراجعة وإصلاح التعليم الديني الإسلامي، وذلك من أجل صياغة تربية إسلامية أكثر توازنا وشمولية وتكاملية تجمع بين فروض الأعيان وفروض الكفايات في مضامينها وأبعادها.

١٥- تطوير تكوين المعلمين والأساتذة، ومراجعة الكتب المدرسية ذات الصلة بالتربية الدينية الإسلامية من أجل إعداد أبنائنا لمواجهة تحديات التعددية الدينية، والعولمة،والاقتصاد المؤسس على المعرفة، وثورة المعلوماتية والمجتمع الأخلاقي.

١٦- ترقية ونشر البرامج والأفلام التي تحمل معاني وقيما وأخلاقا، سواء عبر التليفزيون أو السينما أو الشبكة العنكبوتية.

١٧- ترقية وتعزيز فكرة التربية المستدامة والمتواصلة وتشكيل ثقافة مجتمع القراءة.

١٨- ترقية قيمة ودور «مجتمع الرعاية»المؤسس على مبادئ الإسلام في العدالة الاجتماعية والتراحم والمساواة.

١٩- ترقية المنهج الحضاري المتكامل في مشاريع تنمية المجتمع الإسلامي بوصفها استراتيجية من أجل تحقيق أهداف الوسطية.

٤- سياسات من أجل تعزيز العلاقات الخارجية والدولية

فيما يتعلق بالعلاقات بين الدول الإسلامية والعالم غير الإسلامي في الغرب أو في الشرق، هناك حاجة إلى وضع سياسات واتخاذ مبادرات تهدف إلى:

أ- تجنب المواجهات والصراعات أو الاستسلام والرضوخ في التعامل مع القوى الغربية.

ب- تعزيز العلاقات والحوار بين الاتحاد الأوربي ومجموعة منظمة المؤتمر الإسلامي، وتشكيل العلاقات بين المنظمة واليابان، والمنظمة وكوريا، والمنظمة والصين، والمنظمة وجنوب أمريكا.

ج- رفض تلك النظرة التي تقرن الإسلام بالإرهاب والتركيز على أن الإرهاب قضية سياسية بالدرجة الأولى أكثر منها ظاهرة دينية أصيلة (لأن الأديان لا تدعو إلى مثل هذا السلوك المشين).

د- ترقية صورة متوازنة ومشعة للقيم الحقيقية للإسلام ومبادئه السمحاء المبنية على الرحمة والسلام، وذلك بتوظيف وسائل الإعلام الحديثة وآلياتها، بما في ذلك شبكات الإعلام العالمية والقنوات الدولية... وغيرها.

هـ- ترقية الأبحاث والدراسات التي تعرض الإسلام وقيمه ومبادئه على

أنها لا تتناقض وأنها- على العكس تماماً- تتوافق مع القيم الإنسانية النبيلة المتضمنة في الخطابات والمواثيق الدولية الحديثة.

و- ترقية المبادئ الإسلامية المتعلقة باحترام التعددية الثقافية والدينية والحضارية، وكذلك بيان كيف أن المسلمين طبقوا هذه القيم والتزموا بها عبر تاريخهم الحضاري الطويل، وينبغي كذلك أن يُبين للآخرين كيف أن المفكرين المسلمين كانوا من رواد الحوار بين الحضارات ومقارنة الأديان في تاريخ العالم.

ز- ترقية وتأكيد رفض الإسلام القاطع للعصبية والتطرف، وذلك من أجل تعزيز فكرة التسامح وثقافة السلم، وكذلك بيان تلك الشروط والضوابط الصارمة التي وضعها الإسلام في سبيل إعلان الجهاد المسلح ضد المعتدين، وكذلك المجال المنبسط للجهاد السلمي الذي يدعو إليه الإسلام في كل ميادين الحياة.

ح- ترقية الوعي بأن الإسلام هو الدين الإلهي الأول الذي وضع مبدأ المساواة بين الناس استنادا إلى مبدأ الأخوة الإنسانية كما تشير إليه الآية الكريمة الآتية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾ (النساء:١) .

وقول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى»[٦]

ط- ترقية فكرة ضرورة الاعتماد على العدالة الدولية، والشرعية الدولية بدلا من اللجوء إلى استخدام القوة أو القرارات الأحادية الجانب في حل النزاعات والأزمات الدولية.

٦- رواه الإمام أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار.

ي- ترسيخ مبادئ التضامن الدولي من أجل ردم الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وبين المتعلمين والأميين.

ك- تهيئة البيئة المناسبة والأجواء المشجعة للغرب ودول شرق آسيا من أجل توفير المساعدة والتمويل أو نقل التكنولوجيا بهدف تسريع النمو الاجتماعي والاقتصادي للدول الإسلامية.

ل- استرعاء انتباه المجتمع الدولي إلى الأخطار التي تمثلها الحركة الصهيونية، والمحافظين الجدد، وحركات التبشير المسيحية، وحركة البنتكوستاليزم (عيد الحصاد عند اليهود)، واليهودية المتطرفة وحركات الهنود المتطرفة، وحركات العلمانية المتطرفة في الشؤون الدولية المعاصرة وما بات يُعرف «بالحرب ضد الإرهاب».

م- توعية الجماهير وأعلام القادة الغربيين بأن الإسلام كان له دور قوي في قيام الحضارة الغربية الحديثة عبر روائع الحضارة الإسلامية في إسبانيا، وأنه اليوم قادر على تحقيق ذلك الدور الحضاري الإيجابي في العالم.

إن قائمة السياسات المسجلة في النقاط ٣.أ ، ٣ب ،٤ ليست للحصر ولكن للتمثيل فقط ويمكن إضافة مقترحات كثيرة لها، ويمكن لمختلف الدول الإسلامية أن تضيف ما يناسبها من السياسات بما يتماشى وأوضاعها وظروفها.

٥. برامج ينبغي تنفيذها

إن السياسات المتبناة من قبل الدول الإسلامية توفر الأساس اللازم لتنفيذها بواسطة برامج محددة وخطط تطبيقية، وفيما يلي بعض هذه البرامج:

أ- في ميدان التربية الدينية الإسلامية

بالإضافة إلى تدريس العقيدة الإسلامية والعبادات (على أساس كونها

الواجبات والشعائر الدينية الأساسية) والتربية الدينية الإسلامية ينبغي أن تهدف إلى ترقية الوعي ونشره بين الطلبة والأجيال الشابة، وخاصة فيما يتعلق بالأمور الآتية:

١- إن القيم والتعاليم الإسلامية تُوجب على المسلم أن يلتزم بخلق السلم، والوسطية، والتسامح، والشورى، والعدالة، والتوازن، والصبر، والحرية، والمساواة، والأخوة الإسلامية، والرحمة بوصفها أساسيات للمنهج الإسلامي في الحياة.

٢- إن الأمة الإسلامية أخرجت للناس لتكون خير أمة، ذلك لأنها تأمر بالمعروف وتقدم نموذجا حيًّا للمساهمة في خير البشرية وسعادتها وأنها «رحمة للعالمين» في علاقاتها مع باقي الإنسانية.

٣- كل الجهود السلمية والنضال البعيد عن العنف من أجل ترقية الأمة أو الإنسانية وتعزيز تحضرها وتقدمها، ينبغي أن يُعتبر جهاداً وعملا صالحا.

٤- إن التنوع بين الأفراد، والثقافات، والأديان، والحضارات ينبغي أن يُقبل على أنه تعزيز للتعليم ولمعرفة بعضنا البعض، واحترام الفروقات الموجودة بيننا، وكذلك لترقية التفاعل والتعاون والحوار.

٥- إن الإسلام يدعم قيمة الكرامة الإنسانية، ويعترف بضرورة مساواة الأفراد في فرص العلاقات الشخصية مع الآخرين، والمحافظة على العلاقات الدينية المنسجمة، وكذلك في احترام عملية صنع القرار الدولي.

٦- إن كل الجهود الجيدة للمسلمين أو البرامج التي تقوم بها الحكومات الإسلامية من أجل تحسين مقاييس العيش بين الناس، والمساواة بين المسلمين، وكذلك العمل من أجل تسريع النمو الاقتصادي – الاجتماعي للمواطنين، ورسم صورة إيجابية للإسلام والمسلمين أمام غير المسلمين، كل هذه الأمور تشكل مظهراً من مظاهر العبادة والتقرب لله- سبحانه وتعالى-بالمعنى العام للكلمة.

٧- إن المرأة المسلمة ينبغي أن تتحصل على حقوقها كاملة كما هو الشأن بالنسبة إلى الرجل المسلم، وأنهما مطالبان معاً بالسعي للحصول على المعرفة، كما ينبغي أن تُعْطى لهما نفس الفرصة للتفوق والتميز في مجال التخصص. إن تخلف المرأة المسلمة أو فساد حالها في بعض المجتمعات الإسلامية ينبغي معالجته وعدم القبول به؛ لأنه يمثل وجها آخر للظلم والتعسف.

٨- إن دراسة العلوم الطبيعية بمختلف فروعها واجب لكل أبناء المسلمين من أجل فهم أعمق وتبصر حكيم لعجائب آيات الله سبحانه وتعالى في الطبيعة والكون الفسيح.

ب- على صعيد مؤسسات البحث الإسلامية والمفكرين والعلماء

١- صياغة نظرية في السياسة الإسلامية والعلاقات الدولية في ضوء تعاليم القرآن، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، وتراث الفكر الإسلامي، ومعطيات العلوم الاجتماعية المعاصرة، والفهم العميق للواقع العالمي الراهن ولواقع الأمة الإسلامية. هذا الاجتهاد الفكري ينبغي أن يهدف إلى تقديم المواقف والآراء الإسلامية في الموضوعات السياسية المعاصرة مثل: الديمقراطية وحقوق الإنسان، والتعددية، وتقاسم السلطة مع غير المسلمين، ووضع منصب الرئاسة بالنسبة إلى المرأة، والعلاقة بين القانون الإسلامي والقانون الوضعي، ... إلخ.

٢- نشر كتب أو أبحاث حول روائع الحضارة الإسلامية في إسبانيا مع التركيز على تجربة التسامح والتناغم فيما بين الأديان، والتقدم الاقتصادي الإسلامي، ومساهمات المسلمين في تطور العلوم والتكنولوجيا الحديثة.

٣- ترقية الأبعاد الإيجابية للحداثة المعاصرة وعمليات التحديث والاستفادة منها، وتفريقها عن الجوانب السلبية التي ينبغي رفضها ودرء مخاطرها.

ج- في مجال الإعلام

١- تطوير قدرات الإعلام الإسلامي (المكتوب والإلكتروني)، لكي يصبح وسيلة فعالة من أجل التربية والتنوير وتقوية الأمة.

٢- تكثيف العلاقات والحوار بين مؤسسات الإعلام الإسلامي والإعلام الآخر من أجل بناء جسور التفاهم المشترك.

٣- تعزيز دور الإعلام الإسلامي في ترقية الفهم الصحيح للإسلام ونشره في مختلف بقاع العالم، والعكس كذلك.

٤- تأسيس شبكة الإعلام الإسلامي بالتعاون مع أو تحت إشراف منظمة المؤتمر الإسلامي.

د- على صعيد وسائل الاتصال الإسلامية وبرامج الترشيد ومؤسسات الدعوة:

١- ينبغي لهذه المؤسسات أن تكون أكثر فعالية وانخراطا ودفاعا عن الصورة الحضارية الإيجابية للإسلام والأمة، وكذلك متبنية لمصالح الأمة في المحافل الدولية.

٢- أن تعكس بوضوح للمجتمعات غير الإسلامية عالمية التعاليم والقيم الإسلامية.

٣- نشر الإسلام والتعريف بالمسلمين بوصفهم يشكلون تجمعاً حضارياً معاصراً يحترم تنوع الثقافات والأديان والحضارات.

٤- العمل الجماعي المتكامل من أجل صد الهجمة ضد الإسلام في وسائل الإعلام غير الإسلامية المغرضة.

هـ- واجبات الدول الإسلامية والسكرتارية العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

١- عقد اتفاقيات للعمل الثنائي أو الجماعي من أجل العمل على مواجهة

تأثير التطرف، والراديكالية واللصوصية، والإرهاب في هذه الدول.

٢- إجراء دراسات علمية عميقة لسبر الأسباب الحقيقية التي تقبع وراء التطرف الديني، أو النزعات الراديكالية أو الإرهاب في هذه الدول.

٣- إطلاق برنامج جماعي يسمى «الأمة الإسلامية: أمة يقودها العلم».

٤- ترقية نهضة الإسلام بوصفه «رحمة للعالمين» عبر تنظيم مهرجان دولي في المملكة المتحدة، أو شرق آسيا، أو إسبانيا بوصفه خطة لمدة خمس سنوات تتبناه منظمة المؤتمر الإسلامي بالتعاون مع بعض المؤسسات أو الهيئات غير الإسلامية.

٦. بعض الخطوات العملية:

أ- في ميدان التربية والوعي السلمي

١- ترقية جودة المعلمين، وتحسين المقررات والوسائل التعليمية للمؤسسات التربوية الإسلامية بوصف ذلك من الجهود الرامية إلى إعداد الأمة لتحقيق شروط التعامل الفعال مع الآثار الإيجابية والسلبية للعولمة.

٢- تشجيع المزيد من الحوار الفعال والمثمر بين العلماء المسلمين والمثقفين والقضاة وصناع القرار ومؤسساتهم الخاصة؛ بغرض خلق تفاهم أفضل، والتقليل من الاختلافات، وكذلك تعزيز وحدة صفوف الأمة وتماسكها، وترقية تبادل الطلبة والعلماء والأساتذة في العالم الإسلامي وفي خارجه.

٣- دعم مبادرات الحوار مع الثقافات والحضارات الأخرى، بما في ذلك المؤسسات الدولية والجهوية؛ وذلك بغرض تعزيز التفاهم المتبادل، وتعميق التقدير والاحترام للإسلام بوصفه دينا يدعو إلى السلم والتسامح فيما بين بني البشر.

٤- تأسيس منتدى دائم للعلماء والخبراء المؤهلين لتسهيل عمليات النقاش والحوار في الموضوعات التي تعود بالنفع على الأمة، مثل: الحكم

الراشد، وحقوق الإنسان، وبشكل خاص حقوق المرأة من منظور إسلامي.

ب- في ميدان المعلوماتية والإعلام:

١- الاستفادة القصوى من تكنولوجيا المعلومات وتوظيفها لنشر الصورة الإيجابية للإسلام وقيمه العليا في مختلف مناطق العالم، وكذلك فيما بين أبناء المسلمين أنفسهم.

٢- إدخال العلوم والمعارف والتكنولوجيا الحديثة، والمعلوماتية إلى المؤسسات التربوية الإسلامية على حسب الحاجات الديمغرافية والإمكانات الاقتصادية المتوفرة.

٣- توسيع مساحة نشر المعلومات حول إسهام الإسلام في تطوير العلوم والتكنولوجيا، حتى تعرف الأمة والمجتمع الدولي قيمة الإسلام وقوته، وذلك عن طريق وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية والإلكترونية الجديدة.

٤- تكثيف نشر المواد الإسلامية بالتعاون مع مؤسسات النشر والإعلام؛ وذلك بغرض تعميق الوعي بقيمة الإسلام لدى المسلمين وغيرهم في العالم.

ج- المجتمع الدولي:

١- تشجيع الجهود والمبادرات التي تقوم بها قطاعات كثيرة من المجتمع الدولي في سبيل ترقية السلم العادل، والأمن والرخاء، وكذلك تعزيز مبادئ التفاهم المتبادل، والتسامح، والتعايش السلمي العالمي.

٢- ترقية فكرة أن النجاح في الحملة ضد الإرهاب لا يتم إلا بإجراءات شاملة ومتوازنة ومتكاملة، وبشكل خاص من خلال معالجة جذوره وأسبابه بما في ذلك الفقر، وعدم التسامح، والظلم، والتدخل الأجنبي في بلاد المسلمين.

د- دور المرأة:

١- تشجيع كل المبادرات التي تهدف إلى تعزيز دور المرأة وفعاليتها في المجتمع المسلم وفقا للقيم الإسلامية الخاصة بالمساواة والعدالة من أجل خدمة الإنسانية وتحسين أوضاع البشر.

٢- على منظمة المؤتمر الإسلامي أن تنظر في إمكانية عقد ندوة دولية كل ثلاث سنوات حول «أوضاع المرأة المسلمة وتقدمها»، ويكون ذلك في إحدى الدول الإسلامية أو خارج العالم الإسلامي.

هـ- في ميدان الدعوة إلى الإسلام:

١- ينبغي أن تتولى أنشطةَ الدعوة الدولة الإسلامية والمؤسسات الإسلامية، والهيئات والأفراد المؤهلون والمسلحون بالمعرفة الإسلامية اللازمة، والخبرات المطلوبة، ومهارات الدعوة السلمية العقلانية الحكيمة المقنعة، وكذلك مهارات الاتصال بالحسنى مع الأديان الأخرى.

٢- إن من أكثر مبادئ الدعوة فعالية عرض الإسلام وتجسيده عبر الممارسة والسلوك والمعاملة الحسنة، مثل: القيام بأنشطة خدمة المجتمع، والأعمال الاجتماعية النافعة، والأعمال الإنسانية الخيرية، والصدقات، وأعمال الإغاثة وغيرها، التي تعكس الروح الاعتنائية والخدمية والإنسانية للإسلام، والرغبة في التضحية بالمال والوقت والجهد من أجل إرضاء الله سبحانه وتعالى.

٣- على المسلمين أن يحسنوا في مناهج الدعوة، عبر توظيف الوسائل الإلكترونية المتجددة لكي يتمكنوا من نشر الإسلام بين أبناء الأمة وفي العالم كله، وكذلك نشر القيم الإسلامية في الثقافة الشعبية ووسائل الإعلام الجماهيرية، ومن ثم ينبغي إعطاء الأولوية القصوى للدعوة عبر الإنترنت والتكنولوجيا والمعلوماتية الحديثة.

٤- المطلوب من القادة المسلمين والمفكرين أن يتمكنوا من تشكيل شبكة من الإعلاميين المتمكنين في الغرب؛ من أجل تصحيح الصورة الخاطئة وغير العادلة للإسلام من خلال استعمال وسائل الإعلام المتاحة.

إن تجنب التطرف وممارسة العدالة ومواصلة تحقيق التفوق والامتياز الأخلاقي بوصفها القيم المركزية للوسطية الإسلامية، لا يعني بتاتاً التنازل عن التعاليم والمبادئ الدينية من أجل كسب رضا القوى الغربية على الدول الإسلامية أو الجماعات فيها. ولهذا على الدول الإسلامية، والمؤسسات، والهيئات أو الأفراد المخلصين والجادين في ترقية نهج الوسطية الإسلامية ونشره في عالم اليوم الذي يعج بالعنف؛ أن يتبنوا رؤية شمولية متكاملة بدلا من الرؤى الجزئية أو الانتقائية.

إن المقاربة المتكاملة والمتوازنة هي التي تُعير أقصى الأولوية للامتياز الأخلاقي الذي سيجعل الدول الإسلامية أو الشعوب الإسلامية قادرة على ممارسة رسالة الشهادة على الناس.

إن المجتمع المتوازن الذي يجسد المعاني العميقة والمتعددة للوسطية كما يشير إليها القرآن، وتبينها سنة النبي عليه الصلاة والسلام هو الهدف الأسمى الذي تعمل المجتمعات الإسلامية على تحصيله ومعايشته بوصفه واقعاً حيّاً.

وفي هذا المجال، إننا نأمل أن يكون الإصلاح وإعادة البناء لمنظمة المؤتمر الإسلامي الذي أعلن عنه الأمين العام الجديد د. إكمال الدين إحسان أوغلو في عام ٢٠٠٥م من الحوافز التي ستشجع الدول الأعضاء في المنظمة وتدفعها للعمل الجاد من أجل تحقيق هدف الوسطية الإسلامية وجني كل من العالم الإسلامي والعالم الغربي ثماراً عظيمة من هذا التطور والإصلاح.

وقد تمكن المسلمون الذين يشكلون الأغلبية بماليزيا من التعايش بسلام

ووئام مع غير المسلمين، وفي حين يُعتبر الإسلام هو الدين الرسمي، فكل الأديان الأخرى لها الحرية في ممارسة شعائرها إذا لم تمس موقع الإسلام ومكانته في الدولة.

وقد تم الإعلان عن تبني رؤية تنموية حضارية شاملة من أجل تنمية الأمة المسلمة في ماليزيا سميت مقاربة «الإسلام الحضاري»، كي تكون تنفيذاً عملياً لالتزامات الأمة دينياً واجتماعياً ودولياً.

الفصل الثاني

ملامح الوسطية في مشروع «الإسلام الحضاري»

من خلال الوثائق الرسمية، فإن شعار «الإسلام الحضاري»الذي تبنته ماليزيا لا يعبر عن اسم «لإسلام جديد»أو محاولة لعرض دين جديدٍ، وفي الحقيقة لقد تم عرض هذا الشعار سعيا لتأكيد ضرورة تطوير رؤية شمولية متكاملة لتوجيه جهود التقدم والتنمية، وذلك من أجل تعزيز قدرات المسلمين ووضعهم بصورة خاصة، على أساس أن المجتمع الماليزي بأكمله يواجه التحديات الحضارية المعاصرة القاسية. وكذلك تم توضيح أن هذه «المقاربة التنموية»ما هي إلا استمرار للسياسة القديمة المعروفة «بتعزيز القيم الإسلامية».

- مقاربة «الإسلام الحضاري»: الأسباب والمسوغات

على الرغم من أن عبارة «الإسلام الحضاري»جديدة في اللغة الملايوية أو في الخطاب الديني الملايوي، أن تُفسر على أنها نوع من التضييق لمجال الإسلام وحدوده، فإنها وظفت منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م في الخطابات الفكرية والسياسية الإسلامية في العالم العربي – وبشكل خاص في ضوء ما طرحه صامويل هنتنغتون (Sammuel Pillips Huntington) من مقولات في «صراع الحضارات» «والحرب على الإرهاب» لتكون رؤية بديلة أكثر شمولية ومشروعية مما عُرف في الغرب «بالإسلام السياسي»، أو «الإسلام الصوفي»، أو «الإسلام الجهادي».

إن العلماء والمفكرين العرب استخدموا عبارة «الإسلام الحضاري» منذ عام ٢٠٠٠م في سياق التعاون بين الأديان، وظهور النظام العالمي الجديد. فمثلا الدكتور سعيد رمضان البوطي استعمل عبارة «الإسلام الحضاري» في محاضرته بعنوان «الإسلام والمسيحية في مواجهة الوضع الدولي الجديد»(٧) وكذلك الدكتور يوسف غالوم قدم محاضرة في «الإسلام الحضاري» في

---

٧ - http://www.bouti.com/bouti_lecture4.htm.

مؤتمر عُقد بدولة الكويت في ديسمبر ٢٠٠١م.[٨] وفي الاتجاه نفسه كتب السيد أحمد المسلاماني مقالا حول «بداية برنامج الإسلام الحضاري... ونهاية برنامج الإسلام السياسي»[٩] وأما حسن الحسني فكتب أن مساهمة الحكومة الأمريكية ومساعدتها لطالبان في أفغانستان أدت إلى تشويه صورة الإسلام الحضاري أمام أنظار العالم كله.[١٠]

وقد كتب يحيى أبو زكريا، الكاتب الجزائري حول الإسلام بوصفه دينَ إحياء، وأشار إلى أن الصورة العُنفية المشوهة للإسلام عادة ما ينشرها من هم ضد المشروع الإسلامي بغرض تشويه سمعته.[١١]

وفي عام ٢٠٠٤م حاول مستشرق فرنسي مسلم نَشْر فكر الصوفية بديلا عن فكرة «الإسلام السياسي»، بوصف ذلك حلا من أجل سلام العالم. هذه المحاولة لاقت نقدا من طرف الدكتور عبدالمنعم أبوالفتوح، من قيادات جماعة الإخوان المسلمين، والذي يرى أنه لا التصوف ولا الإسلام السياسي هو الحل، وبالنسبة له «الإسلام الحضاري» هو الحل (الإسلام الحضاري هو الحل)[١٢].

وأخيرا وليس آخرا، فقد قدم الدكتور خالد عبدالله القاسم ورقة في مؤتمر عُقد بالمملكة العربية السعودية حول «البرنامج المتكامل للإسلام الحضاري»[١٣].

---

٨ -http://www.ebaa.net/khabar/١٠/١٢/٢٠٠١ khaberl.htm.

٩ -http://www.bab.com/articles/full__article.cfm?id=8271

١٠ -http://www.alshahid.com/ameda/o٥٠b٤٤٩w.htm

١١ -http://www.arabtimes.com/writer/zakaria/doe54.html.

١٢ -http://www.islamonline.net/arabic/daawa/200407// article02.shtml. and www.islamonline.net/Arabic/daawa/ 6/article09.shtml. al-Balagh.5 Nov. 2004.

١٣ -http://www.ksu.edu.sa/seminars/gpe/Recuomendation.htm

وأما في الواقع الماليزي، فإن صفة «الحضاري» وُظفت من أجل التأكيد فقط على البعد الحضاري والمعاصر للإسلام ورسالته في واقع القرن الواحد والعشرين، الذي تغير بشكل ملحوظ باتجاه تعزيز التقدم العلمي والتكنولوجي للأمم غير الإسلامية.

إن التحديات الجديدة للعولمة، وتشويه الإسلام ووصفه بدين الإرهاب، والاقتصاديات المؤسسة على المعرفة، والثورة المذهلة في المعلوماتية والاتصالات التكنولوجية جعل من الحتمي على المسلمين في ماليزيا أن يدركوا أن المفتاح لبقائهم وقوتهم في ظل النظام العالمي الجديد يكون بـ:

١- التفوق في كل مجالات المعرفة المعاصرة، وامتلاك مقومات المجتمع المؤهل للمنافسة والإنجاز.

٢- تغيير نظرة الغرب للإسلام؛ حتى يدرك أن الإسلام دين تقدم وحضارة.

وإلى غاية اللحظة، بالنسبة إلى أغلبية الملايويين، فإن مفهوم الإسلام المتجسد أساساً في مجموعة من الشعائر الدينية ما زال راسخا في الأذهان، وأما بالنسبة إلى البعض الآخر فإن النضال من أجل الغلبة السياسية للإسلام في ماليزيا هو الأمل والحلم الذي يعمل المسلمون من أجل تحقيقه. ولهذا، فجهود الأمة وبرامجها من أجل جعل الملايويين أكثر قوة وقدرة على المنافسة الاقتصادية، والتكنولوجية، والتربوية لا يُنظر إليها بوصفها أولوية ذات قيمة دينية. وقد تم تشجيع المسلمين وحثهم لكي يكتسبوا ويتفوقوا في العلوم الدنيوية والمعارف التطبيقية الحديثة بوصف ذلك واجبا كفائيا على المجتمع المسلم القيام به (فرض كفاية)، ولكن نتائج هذا التشجيع وثمراته لم تكن على القدر المطلوب. فنفسية الرضا بالواقع واللامبالاة مستمرة في إزعاج المسلمين الملايويين في ماليزيا.

إن المجتمع الملايوي قد حقق، تأكيدا، تقدما إذا ما قيس بوضعه إبان حصوله على استقلاله في عام ١٩٥٧م، ولكن ورغم ذلك، فإن الملايويين

المسلمين ما زالوا متأخرين في العديد من المجالات الاقتصادية، وعلى الرغم من الامتيازات والبرامج التي قدمتها الحكومات ذات الأغلبية الملايوية المتعاقبة من أجل الدفع بالملايويين قُدماً في المجالين الاقتصادي والتربوي. إن الفشل في تغيير الذهنية الملايوية والقيم الثقافية الأخرى بهدف تشكيل الجيل «الملايوي الجديد» المتصف بالتقدم، والفعالية، والتنافسية، والحيوية العالية يمثل مصدر قلق عميق للقادة الملايويين الوطنيين. وعلى رأس هذه الاهتمات، كان للأزمة الاقتصادية عام ١٩٩٧- ١٩٩٨م أثر سلبي عميق، حيث جعلت الأمور أكثر سوءًا بالنسبة إلى الماليزيين والملايويين كذلك.

ولقد برزت الحاجة إلى عملية تحويل في الرؤية والثقافة الملايوية من أجل مساعدة غالبية الشعب ليقوم بقفزة نوعية، ويعمل من أجل تحرير نفسه من أمراضه، ويواجه الظروف الجديدة في عالم معولم شديد التنافس. إن القوة الروحية وحدها لا تكفي للقيام بذلك؛ فالمعادلة الصحيحة من أجل النجاح في هذه الدنيا وفي الآخرة هي «ضرورة التفوق الشامل وعلى كل الأصعدة».

حقيقة، في ماليزيا التي تُعد مجتمعاً متعدد الأديان والأجناس مع وجود تنافس في المصالح، وتخالف في الرؤى السياسية – التي يمكنها بسهولة تفكيك الوحدة الوطنية- يتطلب الوضع من القادة المسلمين الوطنيين أن يطوروا رؤية سياسية اجتماعية مبنية على قيم الإسلام، تكون بعيدة عن المثالية والاتجاهات المتطرفة بالنظر إلى التنوع الثقافي للأمة الماليزية، والتحديات المعاصرة في المنطقة وفي العالم بشكل عام.

١ - تعريف «الإسلام الحضاري»

إن تعريف «الإسلام الحضاري» الذي طرحه مكتب القسم الماليزي للتنمية الإسلامية (JAKIM) التابع لمكتب رئاسة الوزراء هو: «التنمية الشاملة للفرد والمجتمع والأمة الماليزية في ضوء تصور الحضارة الإسلامية»[١٤] في حين يؤكد التعريف المشار إليه أعلاه على التنمية الشاملة المتكاملة للمجتمع، فهو يحرص كذلك على إبراز أهمية أن يمتلك المسلمون- أفراداً ومجتمعات- صفات التفوق والتنافسية العالية اللازمة للمساهمة في بقاء وتنمية ماليزيا خصوصا، والأمة الإسلامية عموماً في القرن الواحد والعشرين.

وقد ذكر دتو سري عبدالله بدوي في خطابه أمام الجمعية العامة للمنظمة الموحدة للملايويين والمنعقدة بتاريخ ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٤م، أن «الإسلام الحضاري» يعطي «أولوية للتنمية» التي تقود إلى بناء الحضارة، حضارة مبنية على مبادئ الإسلام، وتركز على ترقية نوعية حياة الناس وتحسينها. وهذا يستتبع تنمية متكاملة ومتوازنة من أجل بناء أمة متصفة ومتمتعة بالمعرفة، والإيمان، والتحضر (الحضارة)، والأخلاق الحسنة، لعالمنا المعولم.

وفي رأيه، فإن حدود «الإسلام الحضاري» تتسع لتشمل المنهج الكامل للحياة الإسلامية كما يدل عليها الإسلام، ولكن صفة «الحضاري» (التنموي، المعاصر، الحضاري) قد أضيف «لكي يكون مركبا ودافعا لتعزيز القدرة التنافسية العالية للمسلمين، ويمكننا أن نفسر ذلك بالقول إن الدكتور دتو سري عبدالله بدوي أراد أن يوظف معنى «المعالجة بالصدمة» لكي «ينبه ويستحث» الملايويين ليتخلصوا من نفسية الرضا بالواقع والأحلام غير الواقعية. ولهذا وجدناه يلح على أن «التراث الحضاري الإسلامي الذي عكس الإنجازات المتميزة للأمة الإسلامية في كل المجالات ينبغي أن يُتخذ

---

١٤ - Konsep Islam 8alere: Satu penjelasan (kuala Lumpur: jagatan Kemajuan Islam Malaysia. 2005). p. 3.

كمصدر ومنطلق يستحث الشعب الملايوي ليعمل من أجل التقدم والتنمية».

وواضح أنه يؤمن بأن التغيير في الذهنية الملايوية التقليدية يحتاج إلى «فعل وعمل شمولي، جذري، منظم، موضوعي وحيادي». من أجل تحقيق هذا المبتغى كان لزاما أن ترسخ التعاليم القرآنية الآتية وتنشر فيما بين الملايويين:

١ - مفهوم العمل بوصفه شكلا من أشكال العبادة.

٢ - دور الإنسان بوصفه خليفة مكلفاً بعمارة العالم.

٣ - وجوب أن يكون المسلم قويا في كل مجالات الحياة.

لقد كان مهماً للغاية أن يدرك الشعب الملايوي أن «مقاربة الإسلام الحضاري» متوافقة تماماً مع نظرة علماء المسلمين وفقهائهم القدماء الذين شرحوا «مقاصد الشريعة» وذكروا منها:

- المحافظة على الدين.

- المحافظة على العقل.

- المحافظة على النفس.

- المحافظة على المال.

- المحافظة على العرض والنسل.

واجبات المسلم الملايوي ومسؤولياته

إن مقاربة الإسلام الحضاري تتطلب من المسلمين اليوم أن يلتزموا بالاستراتيجيات الآتية:

١ - إحياء دور الاجتهاد والتفكير الإبداعي كما يدعو إليه الإسلام.

٢ - توسيع مفهوم الجهاد وإعادة شرحه ليشمل معاني مثل: طلب العلم

والمعرفة بكل أنواعها، والحصول على العلوم والتكنولوجيا، والاجتهاد في تحسين المستوى الاقتصادي.

٣ - جعل الإتقان في كل مجالات الحياة ثقافة.

٤ - ترقية دور الإسلام ورسالة المسلمين بوصف ذلك «رحمة للعالمين».

٥ - التقليل من مستوى التبعية والاعتماد على الآخرين أو على الحكومة.

٦ - يصبح «مجتمع قراءة» يحب ويطبق التوجيه القرآني الذي يدعو إلى «القراءة» بوصفه مؤشراً على التزام المسلمين بضرورة توسيع معارفهم وخبراتهم.

٧ - إلغاء الفصام بين المعرفة الدينية والمعرفة الدنيوية على أساس أنهما معا ضروريتان للتقدم والتحضر.

٨ - توعية الأجيال الشابة على أن ميلاد النهضة الأوربية تم بفضل التلاقي والتفاعل مع الإنجازات العلمية والتكنولوجية المتقدمة للحضارة الإسلامية في إسبانيا.

إن الآية القرآنية التي عادة ما تذكره في معرض الحديث عن «الإسلام الحضاري» هي:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (القصص:٧٧)

المبادئ الأساسية لمجتمع مؤسس على «الإسلام الحضاري» وخصائصه:

أشار السيد عبدالله بدوي في كلمته بمركز «أكسفورد للدراسات الإسلامية»، ماجدولن كولاج (Magdalen College)، جامعة أكسفورد بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠٤م، إلى مقاربة «الإسلام الحضاري»، وأكد أهمية اتباع «نهج الوسطية»، والعمل من أجل «الفوز في هذه الدنيا وفي الآخرة على حد سواء»، وذكر أنه كما يعلمنا الإسلام «يجب علينا أن لا ننسى أبدا تفوقنا ونجاحنا في هذه الدنيا». وفي بيانه «للإسلام الحضاري»بوصفه مقاربة تهدف إلى بناء حضارة إسلامية متقدمة، يقول:

«إنها مقاربة تقدر الجوهر والعمق وليس العَرض والشكل، إنها مقاربة تسعى إلى إفهام المسلمين أن الإسلام دين حضارة وتقدم، إنها مقاربة تتماشى مع التحديث وفي الوقت نفسه عميقة الغور في القيم والتعاليم الإسلامية».

ثم بعد ذلك، ذكر عشرة مبادئ عامة، وخصائص تميز المجتمع الذي يتبنى مقاربة «الإسلام الحضاري»، هي:

١ - الإيمان بالله وتحقيق التقوى.

٢ - حكومة عادلة وأمينة.

٣ - شعب حر ومستقل.

٤ - التمكن من العلوم والمعارف.

٥ - التنمية الاقتصادية الشاملة والمتوازنة.

٦ - مستوى حياتي ومعاشي جيد لأفراد المجتمع.

٧ - حفظ حقوق الأقليات والمرأة.

٨ - الأخلاق الحميدة والقيم الثقافية الفاضلة (الاستقامة الأخلاقية والثقافية).

٩ - حفظ البيئة وحمايتها.

١٠ - تقوية القدرات الدفاعية للأمة.

سوف أحاول الآن شرح أهمية المبادئ الخمسة الأولى؛ رغبة في إفادة المسلمين من مختلف البلدان الإسلامية، وكذلك غير المسلمين في ماليزيا وفي باقي أصقاع العالم الذين يرغبون في فهم أفضل لهذه المبادئ.

١. الإيمان وتقوى الله:

في التصور القرآني، كل الجهود والأعمال التي تهدف إلى تحسين حياة الناس ينبغي أن تُؤسس على الإيمان وتقوى الله سبحانه وتعالى. هذا الفهم متوافق تماما مع العقيدة الإسلامية التي ترى الإنسان «عبداً لله» وأن حياته في هذه الدنيا صورة من صور العبادة. ولكي يحقق الإنسان السعادة والفوز في هذه الدنيا وفي الآخرة كعبد لله سبحانه وتعالى، ينبغي له أن يحقق شرطين:

١ - أن يكون لديه إيمان بالله بوصفه الخالق، القادر، الرزاق، والمدبر لكل شيء، وأن يكون لديه وعي بما يرضي وما يغضب الله العليم، القدير، الرحمن الرحيم في كل عمل يقوم به،

٢ - القيام بالأعمال الصالحة من خلال الأفعال والأفكار والأقوال. إن هذين الشرطين لا ينفصلان على أساس أن اكتساب الإيمان وحده بدون العمل الصالح يعتبر ناقصا، وأن القيام بالأعمال الصالحة دون الإيمان يعتبر غير مجدٍ.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ (سورة العصر)

القرآن الكريم يعلم المسلمين أنهم إذا عاشوا في جو من الإيمان والتقوى والمراقبة لله سبحانه وتعالى، فإن الله سيفتح عليهم أبواب إنعامه وآلائه وينزل عليهم بركاته. ومن ثم فإن جميع أفعالهم ومحاولاتهم التنموية ينبغي أن تلتزم بهذا الشرط حتى تلقى القبول عند الله سبحانه وتعالى، وإلا فإن سخط الله وعقابه سينزل عليهم ويحل بهم على وجه هذه الأرض.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٦)

ويقول: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق: ٢-٣)

إن هذا المبدأ يسري على كل المسلمين. وأما بالنسبة إلى أتباع الأديان الأخرى، فإن الإسلام يحترم حقوقهم في اتباع معتقداتهم وتصوراتهم.

يقول تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ (الكافرون: ٦)

وقد أكد الدستور الماليزي مسألة حرية التدين وحفظها لغير المسلمين.

٢ - حكومة عادلة وأمينة

إن العدالة والأمانة يعتبران من أعظم مبادئ الحكم في الإسلام. والحاكم العادل له مكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وفي يوم القيامة سوف يكون في مقام رفيع مع رسل الله سبحانه وتعالى وأنبيائه.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل: ٩٠)

والعدالة ينبغي أن تقام بغض النظر عن العلاقات الشخصية، والمنصب والجنس، واللون، والغنى والفقر. والإنسان ينبغي أن يكون عادلا حتى مع أولئك الذين هم لأنفسهم ظالمون.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة:٨)

وقد وضع النبي عليه الصلاة والسلام ميزانا صارما للعدالة مع نفسه ومع صحابته الكرام. وفي حديث معروف، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[١٥].

وأما الأمانة فتعني أن توفي الحكومة بما وعدت به، وأن تقوم بواجباتها التي عُهدت لها وكُلفت بها. إن هذه القيمة الأساسية للحكم الراشد متوافقة تماما مع التوجيه الإلهي المشار إليه في هذه الآية:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (النساء: ٥٨)

إن ممارسة الحكم الراشد الذي يتضمن كذلك محاربة الفساد والتعسف في استعمال السلطة يضمن للشعب وللدولة رضا الله سبحانه

١٥ - وإنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. (متفق عليه)

وتعالى ومباركته (بلدة طيبة ورب غفور). يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝ ﴾ (سبأ: ١٥).

٣- شعب حر ومستقل

لكي يسير المجتمع ويتطور في عالم شديد المنافسة، يجب أن يمتلك المجتمع عامة والمسلمون خاصة، القدرة العالية على تطوير أفكار وحلول مبدعة وعملية. كشعب مستقل، لا ينبغي أن يسمح باستعمار جديد لعقول أبنائه أو للتأثير السلبي فيهم من قِبَل القوى والتيارات السياسية أو الثقافية الخارجية التي تسعى إلى الهيمنة الكونية أو السيطرة على العالم الثالث.

وفيما يتصل بالمسلمين، فإن مقاربة «الإسلام الحضاري»تتطلب منهم أن يبحثوا عن الأفكار الجديدة والطرق المبدعة لتنمية قدرات الأمة والمجتمع الروحية والتربوية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية. ومع ذلك، وفي إطار روح الاجتهاد والمصلحة، يجب على المسلمين أن يكونوا منفتحين لتقبل الأفكار الجيدة، التي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام، سواء أصدرت من الغرب أم من الشرق.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن مفهوم الحرية أو الاستقلال لا يعني الحرية المطلقة أو الليبرالية الكاملة أو رخصة للوقوف ضد قانون البلاد أو أخلاق وتعاليم الدين.

٤ - العمل الدؤوب من أجل التمكن من المعرفة وإتقانها

هذا هو أهم مبدأ في مقاربة «الإسلام الحضاري»على اعتبار أن مفتاح التنمية والتقدم للمجتمع يكون بمقدار ما يعيره من اهتمام، وتوظيف لمختلف أنواع المعرفة، وفي مجالاتها المتعددة. وأن أول كلمة أوحيت للنبي عليه الصلاة والسلام هي «اقرأ» وأن الحضارة الإسلامية في أوجها (في

بغداد وإسبانيا والهند) كانت مهداً وتجسيداً لحب المعرفة، وإبداعاً للعلوم والتكنولوجيا.

إن المسلمين مطالبون بالسعي الدائب من أجل الحصول على المعرفة الدينية (فرض العين)، وعلى المعرفة الدنيوية (فرض الكفاية). ومن المؤكد أنه بدون تمكن قوي في المعرفة العلمية، والتقنية والمهنية الاحترافية، ومن دون الخبرة والمهارات لن يكون في مقدور المسلمين تحقيق التفوق في كل مجالات الحياة الحضارية المعاصرة، في الوقت الذي يدعوهم القرآن الكريم، ويحثهم باستمرار على سبر غور آيات الله في الآفاق، وفهم القوانين التي تتحكم في الطبيعة والعالم المادي، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾

(آل عمران: ١٩٠)

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾

(الغاشية: ١٧-٢٠)

وفي عصر العولمة وفي ظل الهيمنة الغربية في مجال العلوم والتكنولوجيا، يجب على المسلمين دراسة العوامل القابعة وراء تخلفهم العلمي والتقني وتبعيتهم للغرب، وكذلك للشرق المتقدم تكنولوجيًّا مثل: اليابان وكوريا والصين، دون أن يلهيهم ذلك عن واجباتهم الأخلاقية والروحية التي تعتبر أساسية في الإسلام.

هنا، أؤكد مرة أخرى أن لفظة «حضاري» هي تذكير صارخ للمسلمين وحث لهم جميعا لكي يعيدوا توجيه وتنظيم أنفسهم بالصورة التي تسمح لهم باكتساب العلوم والمعارف الدنيوية، والقوة التكنولوجية لكي يتأهلوا لأداء دور الخليفة في الأرض على أكمل وجه، وتحقيق الرسالة النبيلة لخدمة

الإنسانية بوصفهم (خير أمة أخرجت للناس).

٥ - تنمية اقتصادية شاملة ومتوازنة

إن المطلوب من المجتمع عموماً والمسلمين خصوصا ألا يكونوا في وضع الفقر أو أن يستمر حالهم البئيس على اعتبار أن الإسلام لا يدعو إلى ذلك، والإسلام يريد من المؤمنين أن يكونوا أقوياء في كل مجالات الحياة الاقتصادية لكي:

١ - لا يهيمن عليهم الآخرون ويوجهونهم حيثما شاؤوا.

٢ - يكونوا قادرين على تحقيق الرفاهية والتقدم للمجتمع. إن الاقتصاد، بكل قطاعاته، من الفلاحة والزراعة إلى الخدمات، عنصر حيوي في التنمية، لذا يجب أن تعطى العناية الفائقة من خلال مشاركة المسلمين وغير المسلمين في التنمية المتوازنة لمختلف القطاعات. والهدف الرئيسي ينبغي أن يرتكز حول الاكتفاء الذاتي في القطاعات الحساسة، حتى لا يبقى المسلمون وغير المسلمين داخل المجتمع مستهلكين تابعين لا غير. يجب أن يصبحوا منتجين للسلع والخدمات وتحقيق التوازن بين النمو والمساواة.

وأما بالنسبة إلى التطبيق الكامل للمبادئ العشرة في ظل الواقع الثقافي الاجتماعي الماليزي، فإن الأمة كلها: القيادات، والنخبة، والقوى العاملة والشعب كله ينبغي أن يساهم في هذا الإنجاز الضخم. في هذه المرحلة من تنفيذ مشروع «الإسلام الحضاري»، هناك جهود تُبذل بشكل أساسي لإعداد الهيئات الحكومية، والموظفين الحكوميين، والقيادات وتوعيتهم بأهمية المشروع وتقدير قيمته وضرورته في تنمية المجتمع.

إن المفكرين والعلماء المسلمين المنصفين يؤمنون أن بسط مشروع «الإسلام الحضاري» في المجتمع المسلم يساعد على تحويل انتباه الشعب من الممارسات السياسية الحزبية الانحيازية التي تدور حول المفهوم المثالي «للدولة الإسلامية»، أو من الانحياز إلى الممارسات الروحية الخرافية

الأسطورية للإسلام أو من ذلك الفهم الخاطئ لبعض المسلمين، والنخبة الغربية التي تعتقد أن الإسلام يصلح فقط للأحوال الشخصية وليس له إلا اتصال بسيط جداً بالحياة العامة.

وإنهم يعتقدون أن «الرؤية الحضارية»تغطي قطاعا واسعا جدا من الحياة ولها تطبيقات واسعة على مختلف الأصعدة. إنها تشتمل على البعدين الروحي والمادي، وكذلك السياسي والديني. بخلاف مثالية مفهوم «الدولة الإسلامية»، الرؤية الحضارية مقاربة لعملية التنمية القاعدية الفوقية (تنطلق من المجتمع متوجهة إلى الدولة في تفاعل مستمر)، وليست عملية فوقية مفروضة على المجتمع من قِبَل الدولة. وعليه فالتربية تنطلق من العائلة، والمؤسسات الرسمية هي الأساس المكين لعملية التنمية؛ الأمر الذي يستوجب حث المسلمين على التمكن في مختلف مجالات المعرفة كمدخل ضروري للتنمية الحضارية للمجتمع.

ومن الميزات الأخرى للرؤية الحضارية، هي أنها تنزع من قلوب غير المسلمين وعقولهم الخوف والشعور بأنهم في خطر أو أنهم مهمشون؛ لأنهم في النهاية يشكلون جزءاً أساسيّاً لمشروع التنمية يساهمون فيه، ويستفيدون من ثمراته.

ومن هنا يمكن القول إن كل مبدأ من مبادئ مقاربة «الإسلام الحضاري» له أهميته وقيمته في عقل الفرد، الذي يشعر أن مصلحته ستتحقق به.

ومع ذلك فإن هؤلاء المفكرين يشعرون أن تطبيق هذه المبادئ النبيلة وتنفيذها واقعيّاً هي المحك الحقيقي الذي سيُبرهن، ويُثبت مدى صلاحية هذه السياسات وفعاليتها. إن نجاح هذه السياسة الجديدة، في رأي هؤلاء المفكرين، مرتبط أساسا بـ:

١ - إخلاص النية لله سبحانه وتعالى.

٢ - الفهم الصحيح لمقاربة الإسلام الحضاري والرؤية الكونية الإسلامية

المستقاة منها.

٣ - القبول الشعبي بمقاربة الإسلام الحضاري.

٤ - كفاية الموارد المالية والبشرية اللازمة لتنفيذ هذه السياسة.

٥ - تطوير الاستراتيجيات الصحيحة والمخططات التنفيذية.

٦ - المتابعة الفعلية لعمليات التنفيذ ومراقبتها، والتقويم السنوي للأعمال والمنجزات.

٧ - طلب يد العون والتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

ويبقى القول: إنه ليس هناك من شك في أن الواقع السياسي الماليزي، والخطاب الثقافي الديني هناك بحاجة ماسة إلى رؤية حضارية. وإن مقاربة الإسلام الحضاري تقدم فرصا حقيقية وممتازة من أجل السير قدما بالأمة الإسلامية والأمة الماليزية نحو التقدم على أساس رؤية جديدة وموحدة، ولكن تبقى الإشارة إلى أنه بدون الإخلاص والجدية في التنفيذ قد ينتهي هذا المشروع إلى مجرد شعار فارغ أو كلام سياسي منمق والعياذ بالله.

الفصل الثالث

اتساع الدور الروحي والأخلاقي لأديان العالم في الألفية الجديدة وأهمية النهج الوسطي الإسلامي

«هل للرب مستقبل؟»كان هذا عنوان آخر فصل لكتاب «تاريخ الرب» لمؤلفته «كارن آرمسترونغ»، والذي تتبعتْ فيه تاريخ إدراك الرجل والمرأة للرب منذ عهد إبراهيم إلى وقتنا الحاضر، ولم تقم بتوفير إجابة مباشرة وبسيطة للسؤال الذي بسطته، ولكنها ختمت كتابها المثير للجدل بالملاحظة الآتية:

«ليس باستطاعة البشر الصبر على الفراغ والخواء، ولذلك سيقومون بملء الفراغ عن طريق استحداث بؤرة جديدة ذات معنى. إن الأفكار الأصولية لا تعد بديلاً جيداً للرب، وإذا كنا نريد استحداث دين جديد نابض بالحياة للقرن الحادي والعشرين فعلينا أن نفكر مليّاً في تاريخ الرب كي نستخلص منه العبر والدروس[١٦]».

لقد أوضحت الكاتبة ضمنياً في خاتمتها حاجة البشرية لإله؛ لأن البشر ليسوا فقط كائنات بشرية بل هم أيضاً كائنات دينية، والدين يلبي هذا الاحتياج. وترى الكاتبة أن الدين سيمارِس دوراً أكبر في القرن الحادي والعشرين على افتراض أن العالم والبشرية جمعاء سيستمرون في مواجهة أزمات أخلاقية واجتماعية وبيئية واقتصادية وسياسية شديدة.

إن فجر هذه الألفية الجديدة يبشر ببزوغ نظام عالمي جديد تقوم فيه العولمة الرأسمالية المنتصرة مصحوبة بثورة تكنولوجيا المعلومات بصنع عالم بلا حدود، وفي الوقت نفسه فإن الزيادة المخيفة في ظاهرة الاحتباس الحراري تنذر بمستقبل مظلم مصحوب بكارثة بيئية غير مسبوقة. إن الكثير من جوانب الحياة العصرية أصبح يعجُّ بالإباحية والمتعة والعبثية والانعزالية وفقدان الحيوية والعنف البشع، وكل ذلك يصاحبه تقدمٌ ملحوظ

١٦- Karen Armstrong, A History of God (New York: Balaantine Books, 1993), P. 399.

في مجالات العلم والطب والتكنولوجيا.

«قد تكون الحرب الباردة قد انتهت إلا أن النظام العالمي الجديد لا يقل بشاعة عن القديم. نحن مشرفون على كارثة بيئية، وفيروس الإيدز يهدد بمجيء وباء ذي أبعاد غير متصورة خلال جيلين أو ثلاثة، وعدد سكان الأرض سيصبح أكبر من قدرة الكوكب الاستيعابية، والآلاف يموتون من جراء المجاعات والجفاف[١٧]».

لقد اعتقد الكثير من العلماء الغربيين أن التحضر والتقدم سيجعل البشرية أقل اعتماداً على الدين أو الإيمان بالرب. وإذا كان لابد للدين أن يبقى موجوداً في عالم التحضر والتقدم العلمي فلا بد من تهميشه وقصره على الجانب الشخصي فقط، بينما يتحكم المنطق الإنساني المستقل بالحياة العامة.

لقد كان هذا بالفعل الحل الذي اختاره المجتمع الأوربي الحديث بعد انقضاء فترة التنوير وعهد العقلانية للتغلب على المصاعب التي أثارتها السلطة المسيحية المتنفذة، والعقائد المسيحية والصراع الديني الدموي. لكن المشكلة في هذا الحل الذي أصبح العلامة المميزة للتصور العلماني هو أن الدول الإمبريالية الغربية فرضت على البلدان الإسلامية المستعمرة والدول الإسلامية المستقلة أن تتبنى هذا الحل، لأنه حقق الغاية من ورائه في أوربا وأمريكا الشمالية.

وهذا بطبيعة الحال جزء من الخطة القديمة للإمبريالية الغربية وتجسيد لنزعتهم القائمة على اعتبار الأفكار والقيم الغربية حقائق مطلقة.

ولقد مهدت عقلانية وشكوكية عهد التنوير الطريق للإطاحة بالدين الأوروبي في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين وأصبحت العلمية بديلاً عن الإيمان بالرب ولذلك:

١٧- المرجع السابق، ص ٣٧٧.

«مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي أصبح الإلحاد عنصراً بارزاً على الساحة، وقد أدت التطورات في مجالات العلوم والتكنولوجيا إلى خلق روح مستقلة جديدة دعت البعض إلى إعلان استقلالهم التام عن الرب. لقد كان ذلك القرن الذي تمكن فيه لودفيك فيورباخ، وكارل ماركس، وشارلز دارون، وفردريك نتشه، وسغموند فرويد من صياغة فلسفات وتفاسير علمية للواقع لم يُخصص فيها مكان للرب. ومع نهاية ذلك القرن بدأ عدد كبير من الناس يشعر بأن الرب لم يمت بعد، وأن مهمة البشر العقلاء والأحرار قتله[١٨]».

ولذلك رفض كارل ماركس (١٨١٨- ١٨٨٣) الدين واصفاً إياه بأنه «علامة المخلوق المضطهد،... وأنه أفيون الشعوب الذي يجعل المعاناة محتملة [١٩]».

وفي عام ١٨٨٢ أعلن نتشه أن الرب قد مات، أما فرويد (١٨٥٦ – ١٩٣٩) «فقد اعتبر الإيمان بالرب وهْمًا يجب على الرجال والنساء الناضجين أن يتخلصوا منه [٢٠]»

وبناءً على تصوره، فإن فكرة الإله لم تكن كذبة بل كانت أداة من أدوات العقل الباطني للإنسان، احتاج فهمها الاعتماد على علم النفس، فالإله الشخصي ليس سوى قوة عظمى مشابهة لقوة الأب وجبروته، والرغبة في الإيمان بمثل هذا الإله نابعة من غرائز طفولية لأب قوي ورحيم؛ فالإله ما هو إلا تعبير عن هذه الغرائز، ولذلك يعبده الناس ويخافونه نتيجة شعورهم بالضعف والعجز.

إن الدين ينتمي إلى مرحلة طفولة البشرية، حيث شكل الدين مرحلة مهمة في الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج من خلال إشاعة

١٨- المرجع السابق: ص ٣٤٦.

١٩ – السابق: ص ٣٥٤.

٢٠ – المرجع السابق: ص ٣٥٧.

قيم أخلاقية كان المجتمع بحاجة إليها. أما الآن وقد كبرت البشرية ونضجت فلا بد أن يُترك الدين، وأن يحل محله العلم الذي بإمكانه أن يقدم أسساً جديدة للأخلاق وأن يساعدنا على مواجهة مخاوفنا [٢١]».

ولقد كان مستوى الإيمان بالروح العلمية لا يقل شدة عن الإيمان الديني، وهذا ما أكده فرويد عندما قال: «لا، إن علمنا ليس وهماً، إنما الوهم أن نفترض أن باستطاعتنا الحصول على ما لم يستطع العلم توفيره لنا من مصدر آخر[٢٢]».

علينا أن نشير في هذا الموضع إلى أن «كارن أرمسترونغ» أشارت إلى أن رفض العلماء والفلاسفة الأوربيين للإله أو الدين كان منصبًّا على رفض فكرة معينة للإله ونوع معين من الدين.

وفي هذا تقول: «إن فلاسفة عهد التنوير لم يرفضوا فكرة الإله إلا أنهم رفضوا إله الأرثوذوكس القاسي الذي يهدد البشرية بالجحيم الأبدي، ورفضوا التعاليم الغامضة المتعلقة به التي كانت تنافي العقلانية[٢٣]».

لقد أشار فولتير في قاموسه الفلسفي إلى أن «الإيمان بإله واحد أمر أكثر عقلانية وطبيعية بالنسبة للبشرية من الاعتقاد بالعديد من الآلهة(٢٤)». أما سبينوزا (١٦٣٢ – ١٦٧٧) اليهودي الهولندي فقد طرح أفكاراً جديدة مختلفة تمام الاختلاف عن الفكر اليهودي الساري في زمنه ومتأثرة بالمفكرين العقلانيين، وعلى الرغم من أن سبينوزا يعد ملحداً «فإنه كان مؤمناً بإله وإن لم يكن ذلك الإله إله الإنجيل نفسه[٢٥]».

---

٢١ – السابق: ص٢٥٧.

٢٢ – السابق، نفس الصفحة.

٢٣ – المرجع السابق: ص ٣١٠.

٢٤ – السابق، نفس الصفحة.

٢٥ – السابق: ص ٣١١.

ولقد أوضحت «كارن أرمسترونغ» هذه المسألة بقولها: «إن ملحدي القرن التاسع عشر الجدد هاجموا بعنف مفهوم الإله السائد في الغرب ولم يتعرضوا بسوء للمفاهيم الأخرى.. عادة كان الرب يستخدم من قبل الطبقة الحاكمة لتثبيت نظام اجتماعي يكون فيه الرجل الغني جالساً في قصره بينما يجلس الرجل الفقير على بوابته وهذا الأمر لا يمكن تعميمه على بقية الديانات التوحيدية، فالإله الذي يتغاضى عن الظلم الاجتماعي كان سينزل الرعب في كل من موسى وعيسى ومحمد...[٢٦]».

وعندما أعلن نتشه أن الرب قد مات لأن الإنسان قتله، فقد أعلن بتصريحه هذا في الحقيقة فكرة الإله التي كانت سائدة في الثقافة والمجتمع الأوربي. وقد تبنت «أرمسترونغ» الرأي القائل: إن الإله المسيحي الذي درسه نتشه هو إله حقير وسخيف، وجريمة بحق الحياة. لقد شجع ذلك الإله الناس على أن يخافوا من أجسادهم ومشاعرهم وغرائزهم، ودعا إلى نظام أخلاقي قائم على الشفقة التي جعلتنا ضعفاء... مرة أخرى يجب القول إن إله الغرب كان عرضة لمثل هذا النقد، وقد تم استخدامه لعزل الناس عن إنسانيتهم وغرائزهم الجنسية من خلال الترويج للزهد في الحياة، كما جعلوه دواءً ناجعاً لكل الأمراض وبديلاً عن الحياة السفلية[٢٧]:

لقد حدت حركة «موت الإله»، مصحوبة بالفلسفات العلمانية الحديثة الإنسانية والوضعية والمادية في القرن العشرين، بالعديد من علماء اللاهوت المسيحي من أمثال هاري كوكس إلى المصادقة على واقعية «المدينة العلمانية»، وكأنها إرادة الرب أن يصبح الإنسان بعد «نضوجه» قادراً على إدارة جميع شؤونه العامة دون أي إشارة للرب، لأنه لم يعد موجوداً.

- تحدي الحداثة العلمانية والتنمية:

بينما كان أصحاب العلوم الطبيعية يحتفلون بإنجازاتهم ونجاحاتهم

٢٦ - السابق: ص ٣٥٥.

٢٧ - المرجع السابق: ص ٣٥٧.

بعيداً عن الإله أو الدين، فإن العلوم الاجتماعية التي بدأت بالظهور في أوربا وأمريكا الشمالية عدّت الدين بصورة عامة والأديان غير الغربية بصورة خاصة عوائق في طريق التقدم البشري.

وقد تم الترويج للحداثة وفق المفهوم الغربي على أنها الطريق الذي يجب أن تتبعه دول العالم الثالث، حيث ذهب العديد من علماء الاجتماع الغربيين من أمثال ماكس وبر، وتالكوت بارسنس، ودانيال ليرنر، وصموئيل هينتغتون إلى أن الحداثة تحتم المنطقية والعلمانية أو اندماج مبادئ العلمانية، وهذا الأمر متوقع، وخصوصاً أن «النصف الأول من القرن العشرين اعتبر انتصاراً مستمرا للعلمانية في كل من أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية[٢٨]».

وقد ترتب على هذا أن القادة الدينيين الوطنيين في أفريقيا وآسيا «تم النظر إليهم بازدراء من قبل القوى الاستعمارية، كما تم تجاهلهم من قبل العلماء الغربيين»... (لقد تم) تصنيفهم على أنهم (متعصبون) أو تقليديون[٢٩]».

إن علماء الاجتماع الغربيين في العقدين الخامس والسادس من القرن الماضي كانوا منشغلين بإعطاء صفات الحداثة العلمانية والتنمية الاقتصادية للدول «المتخلفة»أو «النامية»إلى درجة أنهم لم يتنبأوا بحدوث صحوة إسلامية مفاجئة في السبعينيات أو ظهور الحركات الدينية في أنحاء مختلفة من العالم.

٢٨- Fred R. von der Mehden, Religion and Modernization in southeast Asia (New york: Syracuse University Press, 1986), P. 18.

٢٩ - نفس المرجع، ص ١٨. يقول (von der Mehden) أنه في عام ١٩٦٤م أجري استطلاع لعلماء الاجتماع خلص إلى أن ٧٣٪ منهم متفقون على أن معظم علماء الاجتماعيات يعيرون اهتماماً ضئيلاً لفكرة أنهم متحررون من القيم (being value free) وأنهم ليسوا حقيقة متحررين من القيم

«إن أدب الحداثة، خصوصاً في العقدين الخامس والسادس»حسبما يقول فون در ميهدن- تصور حدوث انحطاط في شرعية الدين فضلاً عن تراجع القيم والمواقف والممارسات الدينية، بينما واصلت الحداثة مسيرتها التقدمية المحتومة[٣٠]».

لقد كان مخطط تطور الحداثة وتوقعاتها «يطابق مخططا ارتقائيا تطورياً تم صياغته وفق ما كان يتصور أنه جوهر الغرب الذي هيمنت عليه العلمانية[٣١]».

وبالنسبة لماكس وبر، فإن الأديان الأكثر انتشاراً في آسيا والتي صُنفت على أنها «الاستيعاب الكونفوشي للعالم» و«الرفض البوذي للعالم»، و«الغزو الإسلامي للعالم» لم تستطع أن تقدم أي طريق نحو تحكم منطقي ومنهجي بالحياة[٣٢]».

إن النموذج «التطوري» الذي تبنته الدول النامية تقنياً في آسيا وأفريقيا في الستينيات والسبعينيات كان - إلى درجة كبيرة- استمراراً في اتباع الوصفة الاقتصادية الغربية التي أعطاها الغرب لمستعمراته السابقة، ويدعو هذا النموذج الدولة الحديثة إلى التلاعب بالأديان أو احتوائها من أجل النمو الاقتصادي والوحدة الوطنية.

- الانحطاط الأخلاقي

في عام ١٩٨٨م، ابتدأت الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم العمل والإنفاق على مشروع عُرف باسم مشروع الأصولية الذي كان الهدف منه تحليل رد الفعل الديني المنظم تجاه الحداثة العلمانية في القرن العشرين، احتوى المجلد الأول من السلسلة والذي حمل عنوان «ملاحظة الحركات

٣٠- المرجع السابق: ص ١٢.

٣١- المرجع نفسه، ص ١٢.

٣٢- المرجع نفسه، ص ١٧.

الأصولية» على دراسات تفصيلية لحركات مسيحية ويهودية وإسلامية وهندوسية وسيخية وبوذية وكونفوشية. أما المجلد الثاني الذي حمل عنوان «الحركات الأصولية والمجتمع» فقد قام بدراسة النظرة الأصولية في الإسلام والمسيحية واليهودية، فضلاً عن وصف أثر هذه النظرة على العلوم، والتكنولوجيا، والأسرة، والمرأة، والتعليم في العديد من دول العالم. واشتمل المجلد الثالث الذي حمل عنوان «الحركات الأصولية والدولة» على تحليل أثر العديد من الحركات الأصولية الإسلامية، واليهودية، والمسيحية، والهندية، والسيخية، والبوذية– على القانون والاقتصاد والعنف في بلدانها.

واحتوى المجلد الرابع المعنون بـ«أسباب ظهور الحركات الأصولية» على دراسة للعلاقة بين الخصائص التنظيمية للحركات «الأصولية» وتصوراتها العالمية وإيديولوجياتها وبرامجها المتغيرة التي قد تجعل منها إما حركات قائمة على العنف أو تدعو إلى الاندماج أو الاستيعاب أو الانعزال أو الانفصال، ومدى علاقة كل ذلك بالمجتمعات والثقافات المحيطة بها.

وأخيراً، حاول المجلد الخامس الذي حمل عنوان «فهم الحركات الأصولية» بناءَ نموذج توضيحي للصحوة الدينية العالمية المعادية للعلمانية، كما تم أيضاً بحث ومناقشة مدى ملاءمة استخدام مصطلح «الأصولية» المثير للجدل.

لا بد علينا أن نعترف أن هذه الأعمال الأكاديمية قدمت لنا تحليلات قيمة عن الاستجابات الدينية المختلفة التي حاولت التعامل مع ظاهرة الحداثة العلمانية، ولكن للحصول على صورة أكثر وضوحاً وتوازناً فلا بد أن نتحدث عمن أسماهم جون إسبوزيتو بـ«الأصوليين العلمانيين» في العالم المعاصر الذين يلجأون إلى العنف والتعذيب والاضطهاد والتضليل والخديعة والفساد من أجل الحفاظ على الوضع الراهن.

ومن الممكن أن نفهم النزعة الكائنة لدى وسائل الإعلام المطبوعة والإلكترونية،وقادة القوى الغربية التي تعمل على إبراز الجانب العسكري للجماعات أو الحركات الدينية- وعلى وجه الخصوص المسلمين «الأصوليين»- على أنها جزء من إستراتيجية جماعات الضغط المؤثرة في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل التي تنظر إلى ظاهرة الصحوة الإسلامية على أنها خطر جدي يهدد هيمنة الحضارة الغربية. فبعد سقوط الشيوعية اعتبروا الإسلام الثائر «العدو الجديد»، ولذلك كان لا بد أن يتعرض لحملة منظمة لتجريمه والإساءة إليه، فضلاً عن استبعاده(٣٣)».

ولمجابهة التصورات السلبية السائدة عن الإسلام حاول العديد من علماء الإسلام المسؤولين إبراز طبيعة الإسلام المسالمة البعيدة عن العنف، التي تنبذ التعصب والتطرف(٣٤).

وفي مقابل العلماء المسلمين المهتمين بالشأن الأخلاقي وغيرهم من المثقفين في كل مكان، كان هناك ولا يزال العديد من العقول الغربية التي تشعر أن الأزمات الأخلاقية أو الاجتماعية أو الدينية في المجتمع التقني المعاصر تتطلب دوراً أكبر للنظرة الروحية أو الدينية في الحياة العامة. قد لا يشكل هؤلاء الأغلبية إلا أن أصواتهم تمثل الوعي الأخلاقي الذي ترعاه الحكمة التقليدية وأديان العالم، ولهذا فالأجدر بالمثقفين المسلمين أن يستفيدوا من تلك الأصوات من خلال التعرف على الميول العامة والكونية الداعية إلى الحشمة والتكامل الأخلاقي في الدولة والمجتمع الأمريكي المعاصر التي تجسدها كتابات هؤلاء المفكرين. ومن بين هؤلاء المفكرين روبرت إج. بورك الذي كان أستاذاً سابقاً

٣٣- Edward Said, "Bridge Across The Abyss", Current Affairs (Lahore), Book 62, October 1999, pp. 1-10; john L. Esposito, The Islamic Threat: Myth or Reality? (New York: O.U.P., 1995).

٣٤- على سبيل التمثيل انظر: يوسف القرضاوي، الإسلام بين الجحود والتطرف (قطر: المحاكم الشرعية والشؤون الإسلامية، ١٤٠٢ هـ).

للقانون العام في جامعة يل، وقاضيا في محكمة الاستئناف الأمريكية، وقائماً بأعمال المدعي العام الأمريكي. يقدم روبرت في كتابه المعنون بـ«الترنح نحو الهاوية» تحليلا عميقاً عن الأمراض الاجتماعية الجديدة والعفن الأخلاقي الذي أصاب الثقافة والمجتمع الأمريكي، كما يقوم بدراسة ابتذال وانحطاط الثقافة السائدة التي «تغوص نحو الهمجية»، ملاحظاً أن فحش الفكر والكلمة بلغ مستوى مذهلاً.. مجاراة للتقدم الليبرالي سعى قطاع الترفيه بصورة عامة - والسيئ منه على وجه الخصوص - إلى تمجيد الشخصية غير المقيدة، وهاجم بشكل وحشي كل من سعى إلى تقييد وكبح تصرفاته [٣٥].

ويدعو روبرت إج. بورك إلى تشديد الرقابة على «المواد الإعلامية المعروضة الأكثر عنفاً ودعارةً، بدءاً بالكتابات والصور الفاحشة الموجودة على شبكة الإنترنت، والأفلام التي لا تسعى سوى إلى إثارة حب العنف، وانتهاءً بالكلمات المنحطة لموسيقى الراب[٣٦]».

وعلى الرغم من معرفته التامة بأن «روح الليبرالية الحديثة جعلت أي تدخل في موضوع إشباع الفرد لرغباته ونزواته يبدو أمراً رجعياً ومخزياً[٣٧]» فإنه ناقش ارتفاع معدلات الجريمة، والأطفال غير الشرعيين، والإجهاض، والانتحار، والهجوم المسعور على الثقافة الأمريكية الذي تشنه الأنوثة الراديكالية.

إن جذور الانحطاط تكمن في التأثير الواسع لليبرالية الحديثة، وقد أدى هذا إلى «إضعاف الدين والأخلاق إلى درجة أن النزعة الفردية على وشك أن تطلق عنانها وتصبح ظاهرة راديكالية ومدمرة [٣٨]».

٣٥- Robert H. Bork. Slouching Towards Gomorrah (New York: Regan Books. 1996). pp. 124-125.

٣٦- المرجع نفسه، ص ١٤٠.

٣٧- المرجع نفسه، ص ١٤١.

٣٨- المرجع نفسه، ص ٣٣٢.

وحسب نظرته، فإن متعصبي الليبرالية الحديثة يعادون ظاهرة التدين في أي مذهب كانت، ويسعون إلى تحطيم المؤسسات والتقاليد الدينية إذا تمكنوا من ذلك[٣٩]. ويعتقد أن الدين عندما يضمحل في مجتمع غربي كانت المسيحية هي الديانة المهيمنة عليه، فإن مثل هذا المجتمع لن يكون قادراً على الحفاظ على الفضيلة[٤٠].

إن الانحطاط التدريجي للدين والأخلاق، فضلاً عن إزالة الدين من محيط الإدراك والنقاش العام الذي تسببت فيه النخبة الليبرالية، قد أدى إلى انحراف المجتمع عن معايير الاحتشام والحضارة وضبط النفس[٤١].

وتكمن لدى العديد من الأشخاص الحاجة إلى الإيمان بالغيب كي يكون لحياتهم معنى، وهذا يعني أننا إذا قمنا بإبعاد الدين من المحيط العام، فإننا سنقوم بتهميشه ولا نعترف بأهميته للمجتمع ونقصره على المحيط الشخصي. لكن إذا احتاج البشر إلى جهة غيبية من الممكن أن تلقي بظلالها على الأمور العامة، وإذا مُنع الدين من تأدية هذا الدور، فإن أشكالاً أخرى من الغيبيات البعض منها قبيح وعنيف ومخيف للغاية قد يتسلل ليملأ هذا الفراغ... هناك أيضاً تشظي أخلاقي عندما يتوقف الدين عن تقديم حزمة مشتركة من الفرضيات الأخلاقية[٤٢].

كما أشار «روبرت إج بورك»إلى أن الأخلاق تتطلب أساساً أقوى من المنطق.

لقد بدأنا ندرك أن المنطق البشري لا يمكن أن يقدم الأسس المنطقية الضرورية للمبادئ الأخلاقية، وكما يقول إرفنغ كريستول:«إن العقلانية العلمانية لم تستطع أن تقدم قانوناً أخلاقيًّا مُقنعاً ومُبرراً ذاتياً، فالفلسفة

٣٩- المرجع نفسه، ص ٣٣٧.

٤٠- المرجع نفسه، ص ٣٢٨.

٤١- المرجع نفسه، ص ٢٧٤.

٤٢- المرجع نفسه، ص ٢٧٦.

بإمكانها استخدام طرق فريدة لتحليل القوانين الأخلاقية لكنها لا تستطيع استحداثها، ونتيجة لهذا الفشل، فإن فكرة الإنسانية العلمانية برمتها – القائمة على أن الإنسان بمقدوره أن يعرف إنسانيته ويُشكل المستقبل الإنساني عن طريق المنطق والإرادة فقط – بدأت تفقد مشروعيتها. وعلى مدار الثلاثين سنة الماضية فإن كل التيارات الفلسفية والثقافية الكبرى بدأت تنبذ العقلانية العلمانية مفضلة عليها النسبية الفكرية والأخلاقية أو العدمية [٤٣].

ويعتقد بورك جازماً أن «الدين فقط بمقدوره أن يحقق للمجتمع ما عجزت التقاليد والمنطق والملاحظة العلمية عن تحقيقه [٤٤]».

الدين يخبر البشر كيف يجب أن تكون نهاية الحياة، ومن خلال ذلك يقدم أساساً متيناً للسلوك الأخلاقي، أما الفلسفة فلا تستطيع الاتفاق على ما يجب أن تكون عليه النهاية المناسبة، ولذلك فهي ليست قادرة على توفير الأسس المنطقية الضرورية لإيجاد اقتناعات أخلاقية.

لقد تم التأكيد في العديد من المناسبات على أن «الشعب الأمريكي من أكثر الشعوب تديناً بين الديموقراطيات الصناعية، حيث يصرح ٩٠٪ من الشعب الأمريكي بإيمانه بإله...[٤٥]»، إلا أن بورك يؤكد على أن «الحقيقة تشير إلى أنه على الرغم من الإحصائيات المتوافرة حول عدد الذاهبين إلى الكنيسة وغير ذلك من الأمور ذات العلاقة بالدين والتدين، فإن الولايات المتحدة الأمريكية تعد دولة علمانية إلى حد كبير، وأنها في معظم الأحيان لا تأخذ الدين على محمل الجد[٤٦]»؛ إلا أن هذه العبارة قد يعارضها مناصرو «اليمين المتدين الجديد» المتواجد في السياسة الأمريكية، فضلاً

٤٣- المرجع نفسه، ص ٢٧٦.

٤٤- المرجع نفسه، ص ٢٧٨.

٤٥- المرجع نفسه، ص ٢٧٩.

٤٦- المرجع نفسه، ص ٢٧٩.

عن الحركات المسيحية الأصولية، والإفنجليكية، والمسيحانية، والألفية المتواجدة في المجتمع الأمريكي والتي تتوقع أن تلعب المسيحية المتعافية دوراً عالمياً جديداً في الألفية الثالثة(٤٧).

وإذا قمنا بتحويل الأنظار من الولايات المتحدة الأمريكية إلى القارة الآسيوية، فإننا سنلاحظ «ازدياد التعلق بالقيم الروحية بشكل مطرد، وازدهار الإيمان الديني(٤٨). يشير جون نايسبت إلى أن المسيحية بدأت تشكل خياراً دينياً مفاجئاً في آسيا(٤٩)». ويقدر مدير تحرير الموسوعة المسيحية العالمية أن ثمانية بالمائة من سكان آسيا يعتنقون المسيحية، وأن ٢٥ ألف صيني يعتنقون الديانة البروتستانتية يومياً، وأن ثلاث كنائس تفتح كل يومين(٥٠).

وبالإمكان الحصول على صورة أكثر دقة عن الانتماء الديني في شرق آسيا من الجدول التالي(٥١):

٤٧- Richard H. Popkin and David S. Katz. Messianic Revolution: Radical Religious Politics to the End of the Second Millennium (Hill & Wang, 1999).

٤٨- john naisbitt, Megatrends Asia: Eight Asian Megatrends That Are Shaping Our World (New York: Simon&Shuster, 1996), p.79

٤٩- المرجع نفسه، ص ٧٩.

٥٠- المرجع نفسه، ص ٧٩.

٥١- هذا الجدول منقول عن Joseph B. Tamney, "Religion in Capitalist East Asia" in William H. Swatos (ed.), A Future for Religion? New Paradigms for Social Analysis (London: Sage Publications, 1993), p.56

الانتماء الديني في شرق آسيا (سنة الدراسة بين قوسين).

الدولة	الدين الشعبي	البوذية	المسيحية	أخرى	لا شيء
اليابان (١٩٨٥)	٤	٣٩	١	٢	٥٣
كوريا الجنوبية		٢٠	٢١	٢	٥٧
سنغافورة ١٩٩٠		٦٨	١٤	١٨	٦٥
تايوان (١٩٨٤)	١٥	٤	١	١٥	

- توصلت دراسات أخرى إلى أن نسبة الذين لم يكن لديهم أي انتماء ديني في تايوان كانت ٣٣٪ في عام ١٩٨٣م (Swanson ١٩٨٦). ذكر (Mitchell ١٩٧٤) أن ٤٧٪ من سكان الحضر في هونغ كونغ ليس لديهم أي انتماء ديني. (المصادر: Hastings and Hastings ١٩٨٦، جمهورية الصين ١٩٩٠، سنغافورة قسم الإحصاء ١٩٩١، الأمم المتحدة ١٩٩١).

الديانة المسيحية تنتشر بسرعة في منطقة شرق آسيا حيث يعتنق ٤١٪ من الكوريين الجنوبيين المسيحية، والملايين في الصين اعتنقوا إما البروتسانتية أو الكاثوليكية، وفي الفلبين الدولة الكاثوليكية الآسيوية الوحيدة التي يعتنق ٨٥٪ من سكانها الكاثوليكية، فالمسيحية تشهد صحوة قوية. أما في تايلند فيبدو أن البوذية تعتلي موجة الازدهار الاقتصادي[٥٢].

- البعد السلبي للعولمة

لقد جلبت الألفية الجديدة معها تحديات جديدة ذات علاقة بالجوانب السلبية للعولمة، فضلا عن الأزمات البيئية التي، إن لم يتم السيطرة عليها، فستضع كوكب الأرض بأكمله في خطر كبير، يضاف إلى ذلك خطر نشوب

٥٢- john Naisbitt. op. cit., pp. 7982-.

حرب نووية، والصراعات الدولية القائمة في الشرق الأوسط وأوربا الشرقية، والحروب القبلية في أفريقيا، ووباء الإيدز القاتل، وارتفاع معدلات الجريمة على اختلاف أنواعها، وتحطم مؤسسة الأسرة، واستخدام المخدرات، والتعفن الحضري، والفحش والبذاءة، والعديد من الأمراض الاجتماعية الأخرى.

ويجب على الأديان التي تدعو إلى تحقيق السلام، والعدالة، والمنهجية السليمة، والمعيشة المستقيمة، أن تعالج المشكلات سابقة الذكر، وأن تواصل حربها ضد الظلم الاجتماعي، والاضطهاد، والفساد، وسوء استخدام السلطة، والجشع، والمادية، والعنصرية، والتمييز الجنسي، والمتعة، والعدمية.

إن إدراك آثار العولمة العميقة والواضحة التي أدت إلى أن تكون السوق العالمية والعمالة، والتقنيات الحديثة، والمعلومات، والإعلام والمعرفة، والمهارات، والأفكار، والقيم، بلا حدود وبسرعة مذهلة، وذات عواقب وخيمة بعيدة المدى شملت الثقافة المحلية، والشخصية الإنسانية، والمجتمع، ونوعية الحياة، وهوما دفع بالعديد من المفكرين والنشطاء الاجتماعيين المعتنقين لديانات مختلفة في منطقة آسيا- الباسيفيك إلى دراسة هذه الظاهرة غير المسبوقة من منظور ديني في مؤتمر انعقد في ماليزيا في شهر يوليو عام ١٩٩٧م، وقد اكتشف المشاركون أنه على الرغم من وجود العديد من الخلافات الكبيرة بينهم، فإنه توجد زوايا معينة مشتركة يشترك فيها الجميع بالنسبة إلى ضرورة حماية البيئة، والسلوكيات الاقتصادية الأخلاقية، ومستويات الاستهلاك المعقول، والتصرف السياسي القائم على المبادئ، ورعاية المجتمع، والتكامل الأسري، وكرامة الإنسان. وبالتالي فإن هذه القيم الأخلاقية المشتركة التي تتجاوز الحدود الدينية والثقافية

كافة هي الكفيلة بالوقوف أمام العواقب السلبية للعولمة، وتقوية جوانبها الإيجابية[٥٣].

كما أن المشاركين عبروا عن رؤية مشتركة هي:

سيصبح الدين مرشحاً أكثر من أي قوة ثقافية أخرى لأن يكون القوة الوحيدة الأكثر أهمية في مقاومة الميول نحو التماثل، وسيصبح الدين الدرع الواقية ضد ضربات ثقافة الحس، وسيضمن بقاءنا مخلصين لطبيعتنا الأصلية وجذورنا الأخلاقية. كما سيضمن الدين بقاء العالم متعدد الثقافات، بدلاً من أن تهيمن عليه قوة ضخمة منفردة. إلا أن العولمة قد مهدت الساحة لالتقاء الأديان على مستوى غير مسبوق... الأمر الذي يستلزم التعايش السلمي بين معتنقي هذه العقائد المختلفة المبني على التسامح والاحترام المتبادل[٥٤].

- موقع الأخلاق المبنية على الدين:

عندما يناقش تان جي – بنغ، أستاذ الأجناس البشرية في هونغ كونغ، صلة الكونفوشية بالعولمة فإنه يؤكد على أن الأساس الأخلاقي للمجتمع الصيني يتطلب إسهام الأخلاق الكونفوشية ونظرة غيبية للحياة توفرها تعاليم كلٍّ من الكونفوشية والتاوية. وفي نظره، من الممكن أن نقلل الآثار السلبية المترتبة على الزيادة المطردة للنزعة الاستهلاكية والمادية عن طريق تجديد الحياة الروحية التي تدعو إليها التعاليم الكونفوشية (لا يُقصد بذلك كونفوشية أيديولوجية الدولة والبيروقراطية) التي تركز على الإنماء الذاتي بعيداً عن تدخل السلطات الدينية أو الدولة. ويعتقد «تان جي – بنغ» أن

٥٣- joseph a. Camilleri & Chandra Muzaffar (eds.) Globalization: The Perspectives and Experiences of the Religious Traditions of Asia Pacific (Selangor: just World. 1998).

٥٤- المرجع نفسه، ص ٣.

الكونفوشية الروحية التي ليست ديناً عقائدياً أو مؤسساتياً ستصبح «ذات صلة وثيقة بالطابع الشخصي للمجتمع الصيني وبقية مجتمعات شرق آسيا في عهد العولمة(٥٥)».

وبالنسبة إلى «سنجين هان» أستاذ علوم الاجتماع في كوريا الجنوبية، فإن العواقب الوخيمة للحداثة والعولمة الصناعية- المتمثلة في توسع وانتشار القيم المادية وتفاقم العديد من الأمراض الاجتماعية- تعرض المجتمعات لشرور «مخاطر مركبة للغاية» الفساد والجرائم الشنيعة، وسوء استخدام السلطة، وهذا يتطلب إعادة تشغيل المجتمع المدني كي «يكون بمثابة نظام مناعة ضد العفن الثقافي(٥٦)».

ومن بين المهام التي تواجه المنظمات غير الحكومية في شرق آسيا «بناء مجتمع أكثر إنسانية قادر على التغلب على المخاطر الاجتماعية النابعة من الهرولة نحو التنمية(٥٧)» وفي هذا السياق، فإن «سنجين هان» يجد إمكانية معيارية كبيرة في «الكونفوشية الإصلاحية فهي ليست تقليدية كما أنها ليست بيروقراطية، لكنها تبادلية وانعكاسية في توجهاتها(٥٨)» للتغلب على أمراض الحداثة.

مناقشة «العولمة من وجهة نظر هندوسية» تذهب بنا إلى ما قالته «غيدونغ باغويس أوكا» المحاضرة الجامعية في جزيرة بالي بإندونيسيا التي

٥٥- المرجع نفسه، ص ٢٤-٢٨.

٥٦- "A Confucianist Approach to Globalization: The Case of the Middling Grassroots in Korea" in ibid., P. 157.

٥٧- المرجع نفسه، ص ١٥٩.

٥٨- نفس المرجع، 159 Cf. Ong Puay Liu, "Values that preserve humanity" in Sunday Star, 21 May 2000 in which he argues that the Confucian ideal of the virtuous being (chun-tzu) "can be used to develop humanity within the technologised and individualised selves of the millennium beings".

ترى أن «العولمة العصرية هي نقيض العولمة الروحية التي قصدها غاندي: عولمة قادرة على أن تخلق رياح مستقبل ديموقراطي حقيقي، عادل، غير استغلالي تهب بدون أن يعيقها شيء في كل بلداننا[٥٩]».

وتؤكد على أن «الوظيفة الرئيسة للدين هي مساعدة الإنسان على التغلب على نفسه المتدنية كي يعيش بسلام وتناغم مع البشر والطبيعة». فقاعدة Ahimsa «لا تؤذِ أحداً» في الهندوسية التي مارسها «مهاتما غاندي» من الممكن تطبيقها لتجابه الدوافع القاسية والتلاعبية الموجودة في العولمة.

وعندما نقوم بتحليل العولمة، فإنه من المفيد أن نتأمل في «الآثام الاجتماعية السبعة» التي ذكرها غاندي بقوله:

١. سياسة بدون أخلاق .

٢. غنى بدون عمل .

٣. تعلم بدون شخصية .

٤. تجارة بدون أخلاق .

٥. متعة بدون عقل .

٦. علم بدون إنسانية .

٧. وعبادة بدون تضحية[٦٠].

إن التصور البوذي تجاه الشركات العالمية التي تعد العامل الرئيس للعولمة خَلُص إلى أنه بينما تدعو البوذية إلى مبدأ «إنكار الذات» (anatman)، وأن السبب الرئيس للمشاكل الإنسانية هو الجشع، فإن الشركات «لا تستطيع أن تصبح متنورة حسب المعنى الروحي للكلمة[٦١]».

٥٩- المرجع نفسه، ص ٣٦/

٦٠- المرجع نفسه، ص ٣٣.

٦١-David R. Loy، "Can Corporations Become Enlightened? Buddhist Reflections on TNCs" in ibid.، p.70.

والسبب في ذلك يرجع إلى أن التنوير البوذي يقتضي ضمناً الإدراك بأن المعاناة الموجودة في العالم سببها التوهم في كون الشخص في معزل عن العالم، لذلك فإن «مأساة العولمة الاقتصادية اليوم»تتمثل في أن «قدر الكرة الأرضية في أيادي مؤسسات اعتبارية... لا يحفزها الاهتمام بحالة سكان الأرض، لكن تحفزها الرغبة في تحقيق نمو وربح أكبر[٦٢]».

بالنسبة إلى المثقف التايلندي «براجا هوتانيواتر» فإن جوهر عملية العولمة الذي أنتج مجموعة من الأزمات الاجتماعية والطبيعية (الفقر، انعدام القوة، دمار المجتمع، نقص الموارد الطبيعية، وتلوث لا يحتمل) هو عولمة «الشهوات»((tanha)٦٣) . «الشهوات» من المنظور البوذي هي أصل المعاناة، ونتيجة لذلك فإن «ثقافة توسعية أحادية استهلاكية»مبنية على «إنجيل اكتسابي» أدى بالعديد من البوذيين في تايلند إلى عبادة المال «والنجاح».

يقول: «العديد من جوانب الحياة المعاصرة هي تذكير مخيف بكل ما هو سيء في الحداثة، وبالنظر إلى ثقافة العولمة الأحادية على أنها نظام قيمي، فإن عمادها الذي تقوم عليه يبدو مختلفاً كل الاختلاف عن الفلسفة البوذية التقليدية القائمة على الترابط المتداخل والعطف والحساسية في مقابل الجشع والكراهية والوهم[٦٤]».

إن التخطيط المتأني والمُنسق «لعولمة»العالم سيترتب عليه آثار ونتائج عظيمة تصيب العالم الإسلامي المكون من خمس وسبعين دولة يشكلون منظمة المؤتمر الإسلامي من المغرب غرباً إلى منديناو شرقاً، فضلاً عن الدين الإسلامي.

٦٢- المرجع نفسه، ص ٧١-٧٢.

٦٣-"Globalization Seen from a Buddhist Perspective" in ibid., p.91.

٦٤- المرجع نفسه، ص ٩٦.

وباعتبارهم جزءاً من مجموعة الـ ٧٧ (أعضاء المجموعة ١٣٣دولة) التي تمثل ٨٠٪ من سكان العالم، فقد عبر العديد من القادة المسلمين عن قلقهم البالغ حول عولمة القطاع المالي والسياسات، فضلاً عن النصائح غير المجدية لصندوق النقد الدولي، كما عبر الكثير ممن حضروا وقائع قمة مجموعة الـ ٧٧ في هافانا في أبريل ٢٠٠٠م عن رغبتهم في التعاون والعمل نحو إصلاح الهيكل المالي العالمي، بعد أن تضرروا بشدة إما من الآثار المدمرة للتلاعب بالعملات أو من الشروط المجحفة التي اشترطها صندوق النقد الدولي لإحياء الاقتصاديات المتعبة لدول الجنوب[٦٥].

وفي مواجهة التوجه العولمي لتسييد الثقافة، وهيمنة وسائل الإعلام الغربية والعلمنة، فإن تماسك الأمة الإسلامية تعرض لاختبار شديد، فكان هناك من بين المسلمين من يدعو إلى الاحتضان الكامل للتحديث والعلمنة من أجل «التقدم»، بينما فضل الآخرون الانسحاب إلى السكون الروحي والصوفي.

وبالنسبة إلى توفيق عبدالله أستاذ التاريخ في إندونيسيا،«فإن أفضل نموذج لمجابهة التحديات الهيكلية والثقافية يتمثل في إنماء وإحياء روح التجديد الإسلامية»[٦٦]. ويواصل حديثه عن فكرة التجديد وبداياتها وكيف أنها كانت ذات علاقة بالحاجة لتغيير «بيئة اجتماعية وثقافية راكدة»قائمة على التقليد الأعمى للآراء والممارسات التقليدية. أما بالنسبة إليه، فإن فكرة التجديد تشير إلى قضايا أكثر مركزية.

٦٥- من المقدر أن ١,٢ بلايين من البشر يصارعون من أجل العيش والبقاء في أوضاع مأساوية تصنف على أنها "فقر مدقع"... وعندما نشاهد أن العالم المتقدم يسير قدما باتجاه العولمة ويدعو إلى نقل قيم الليبرالية للعالم السائر في طريق التقدم، فإن الـ ١٢ مليون طفل الذين سيموتون حتما هذا العام بسبب أمراض يستحيل تجنبها لهم الحق الكامل في الأمل بأن يخرج مؤتمر الجنوب بتوصيات تدافع عن الحق الأساسي للفرد؛ أي حق الحياة، انظر: Hardev Kaur. "Globalization marginalising the developing countries". New Straits Times. May ٢، ٢٠٠٠.

٦٦- joseph A. Camilleri & Chandra Muzaffar. op. cit., p.60.

على الرغم من أن فكرة التجديد قد تكون جذابة بالنسبة إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، فإن همها الأول هو اكتشاف مجال اجتماعي وسياسي ملائم يمكن من خلاله أن تجد القيم الأخلاقية الإسلامية والالتزامات العقدية صلة بالمتطلبات السياقية والضروريات الهيكلية... وفضلاً عن ذلك، فإن التجديد يعني الرغبة في معرفة وفهم الواقع المتغير على الصعيدين التجريبي والمعياري. وبالتالي فإن الحوار المستمر والإبداعي بين الضروريات التجريبية والأوامر العقدية هو الذي سيمكن المسلمين من تطوير إجابات ملائمة للتحديات غير المسبوقة[٦٧].

وفي رأيه، فإن أكثر قضية ملحة بالنسبة إلى المسلمين هي «ترويج وتشجيع ونشر وتعزيز خلق اجتماعي مبني على الإيمان بوحدانية الله تعالى[٦٨]. أي خلقٌ توحيدي يُمكن المجتمع الإسلامي من التصدي للتحديات الجديدة، وفي الوقت نفسه الالتزام بالقيم الدائمة للإسلام.

وفضلاً عن العولمة، فإن موضوع الأزمات الطبيعية مرشحٌ لأن يكون الموضوع الرئيس للقرن الحادي والعشرين لتكريسه الآثار السلبية للاقتصاد والمجتمع العالمي. وفي هذا المنحى فقد تصدرت المنظمات المسيحية العالمية، وعلى رأسها المجلس العالمي للكنائس والفاتيكان، منذ الستينيات العمل على توضيح وتفصيل تلك القضايا من منظور ديني، والضغط على الأطراف المذنبة، ونقد الظلم الكائن في النظام الاقتصادي العالمي.

ظهور تصنيف ثلاثي للتدين البيئي الذي يعكس المركزية المسيحية في مثل هذه الأنشطة، وهذا التصنيف هو «الروحية الخلقية»، والعدالة البيئية، والإدارة[٦٩]. وتركز عقيدة الروحية الخلقية البيئية التي طورتها المنظمات

٦٧- المرجع نفسه، ص ٦٠.

٦٨- المرجع نفسه، ص ٦٠.

٦٩-Peter Beyer. Religion and Globalization (London: Sage publications. 1994). p.217.

المسيحية على عطف الرب ورحمته بالحياة، والاستمرارية التكاملية بين الإنسان وعوالم الطبيعة[٧٠]. أما التصور المبني على العدالة البيئية الذي يسود المجلس العالمي للكنائس فهو عبارة عن زواج بين العقيدة التحررية والروحية الخلقية.

وعن «التدين البيئي» يقول بيتر بيير: «على الرغم من التوترات الداخلية بين التوجهات الليبرالية والمحافظة، فإنه في هذه اللحظة يعد التدين البيئي في الغالب تعبيراً ليبرالياً عن الدين[٧١]».

إن مشاكل وقضايا القرن الحادي والعشرين ستجبر كل أديان العالم على البحث بعمق في مواردها الداخلية كي تستطيع تقديم إجابات أو حلول للمشاكل الجديدة. وبالنسبة إلى السيد حسن نصر الذي يعد عالماً عالمياً معروفاً، فإن هذه التحديات تتمثل في الآتي:

١. الأزمة البيئية.

٢. النظام العالمي.

٣. ما بعد الحداثة.

٤. عولمة الحياة.

٥. أزمة العلم والتكنولوجيا.

٦. اختراق القيم غير الإسلامية .

٧. صورة الإسلام.

٨. الموقف الفكري تجاه الحضارات الأخرى.

٩. الأنوثة.

٧٠- المرجع نفسه، ص ٢١٩.

٧١- المرجع السابق، ص ٢١٧.

١٠. حقوق الإنسان.

١١. التحديات الداخلية[٧٢].

وبالنسبة إلى القضايا البيئية، فإنه يشعر بحزن عميق في أنه على الرغم من كونه «من أوائل الناس الذين تنبئوا بالأزمة البيئية في الغرب (في كتابه الإنسان والطبيعة) وكان ذلك في وقت لم يتحدث عنها أي أحد». فإن العالم الإسلامي ساكت تماماً؛ فالمفكرون الإسلاميون لم يفهموا بعد تحدي البيئة وصلته بمستقبل العالم ومستقبل العالم الإسلامي[٧٣]».

وبالنسبة إلى «ساشيكو موراتا» و«وليم سي. جيتك» الأستاذين في جامعة ولاية نيويورك، فإن علاج كل مشاكل المجتمع الإنساني- الجوع، والمرض، والاضطهاد، والتلوث، وآلاف المشاكل الأخرى التي أنتجها الإنسان- يكمن كما يرى الإسلام في «العودة إلى الرب من خلال الدين (الإسلام، والإيمان، والإحسان)[٧٤]».

وليس هناك من شك في أن الأديان إذا أرادت أن تمارس دوراً أكثر فاعلية واتساعاً في الألفية الجديدة، فعليها أن تمتلك الموارد الروحية والفكرية والأخلاقية لتقديم الأجوبة والحلول والإجابات الملائمة لقضايا اليوم. وإذا فشلت أديان العالم الرئيسة في تقديم الإرشاد والتوجيه الملائم، فضلاً عن تقديم خطط عمل تكاملية لاستمرار رفاهية الإنسان والطبيعة في السنوات والعقود القادمة، فسيترتب على ذلك أن الفراغ الروحي والأخلاقي سيملأ من قبل أديان جديدة، وحركات باطنية، ومذاهب كارزماتية، وباطنية

٧٢-Seyyed Hossein Nasr. Islam and the Challenge of the 21st Century (Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka. 1993).

٧٣- المرجع السابق، ص٥.

٧٤-Sachiko Murata and William C. Chittick. The Vision of Islam (New York: Paragon House. 1994). p.292.

منحرفة، والتزوير الديني، أو طوائف آخر الزمان[٧٥].

لذا كان لزاماً على الدولة أن تفسح المجال لدخول الأخلاق المبنية على الدين والقيم الروحية إلى قطاعات العمل التجاري، والتجارة الدولية، والمهن بمختلف أنواعها، والصناعة، والعلاقات الدولية.

إن تقسيم القيم الروحية أو فصلها عن الشؤون الحياتية أمر غير ممكن من وجهة نظر دينية متكاملة، والاستمرار على هذا المنوال في هذه الألفية سيضاعف من حجم الأزمات الحالية، والمعاناة، والظلم، والصراعات. ومن أجل التوصل إلى ترابط فاعل يحدث على أرض الواقع ،يجب على مؤيدي كلا الطرفين المتقابلين أن يحاولوا فهم الطرف الآخر لمستوى يجعلهم يدركون أهمية هذا الترابط أو التزاوج.

ومن الأهمية بمكان أن تفهم الطبقات الحاكمة وقادة الشركات أن الأديان السائدة تقدم بصورة عامة معنى تكامليًّا لحياة الإنسان، وتركز على الجوهر الروحي للإنسان، وبالنسبة إلى المسلم، فالدين يساعده على التعرف على شخصيته الحقيقية والدائمة المتمثلة في كونه عبداً لله، والمخلوق الوحيد الذي عهدت إليه الخلافة على الأرض.

إن فطرة الإنسان الروحية والأخلاقية تميل إلى السلام والخير والفضيلة والعبودية لقوة خفية، كما تكره هذه الفطرة الشر، والفسق، والفساد، والجشع، والظلم، والخطيئة كون هذه الأمور تنتمي إلى العالم الشيطاني، وهذه الثمار الناتجة عن الرغبة الحيوانية هي أسباب تعاسة الإنسان وشقائه في الحياة؛ من خلال مناشدة رغبة الإنسان في الحصول

٧٥-See Thomas Robbins, cults, Converts and Charisma (London: Sage Publications, 1988) and William H. Swatos (ed.), A Future for Religion? New Paradigms for Social Analysis (London: Sage Publications, 1993).

على السعادة المطلقة والسعادة الحقيقية في حياة ما بعد الموت، وخوفه من المعاناة المطلقة والمهانة يساعد الدين الإنسان علي الوصول إلى مرحلة التحكم الذاتي وضبط النفس التي يحتاج إليها للتغلب على المغريات الدنيوية والزائلة مثل القوة والغنى والمكانة والتأثير. ومن خلال تعريض المنطق الإنساني للحقائق العليا أو المعرفة الروحية، فإن الدين يصنع قالباً كاملاً ومتوازناً ومتناسقاً للشخصية الإنسانية التي بدورها تعد الأساس للمجتمع والثقافة والحضارة المتكاملة.

إن أثر الفشل الأخلاقي الذريع والممارسات غير الأخلاقية والفساد الأخلاقي في العمل التجاري والشركات والإعلام والسياسة والحكومة في أي دولة ما سيستمر في إضعاف جودة الحياة، وبعض هذه الممارسات غير الأخلاقية ستكون لها تبعات عالمية على الاقتصاد العالمي المترابط وأنظمة العالم المستقبلية. وما شبح تآكل طبقة الأوزون، والتلاعب بالعملات، وخدع الإنترنت إلا جزءًا من المخاطر العالمية الجديدة. والتشريع وحده ليس كافياً لمحاربة الفساد الأخلاقي في المؤسسات والأنظمة، لكن ما نحتاجه للوقوف في وجه العفن الأخلاقي هو إدراك أخلاقي سائد يولد سلوكاً فاضلاً وصالحاً بين القادة والتابعين.

وأفضل ما يعزز هذا الإدراك ويحتضنه الدين والتربية الروحية- الأخلاقية، ومن خلالهما يتم تعزيز شعور عميق لدى الشخص بأنه مسؤول أمام الله تعالى ومحب له. هذا الإدراك الروحي- الأخلاقي الذي يتجاوز الولاءات الشخصية والعنصرية والقومية والوطنية هو قوة أكثر فاعلية في مجابهة وتحدي آلهة المصالح الأنانية والظالمة، وحسب ما قاله «روبرت دكسون كرين» السفير الأمريكي السابق لدى الإمارات العربية المتحدة، والمستشار الشخصي للرئيس الأمريكي: «إن المعركة بين الخير والشر في

هذا العالم هي معركة بين هؤلاء الذين يعبدون الله وغيرهم الذين يعبدون الآلهة الزائفة للقوة والهيبة والمتعة أو الآلهة الزائفة لأي أيديولوجية أو طرف يحاول إرضاء ما عدا الله تعالى. وهي في جوهرها معركة روحية بين التقليديين الذين يقصدون الله في حياتهم الشخصية والعامة وبين العلمانيين الأصوليين الذين يحاولون إخراج الله من الإدراك الإنساني وإخراج هؤلاء الذين يدركون الله من الحياة العامة»[٧٦].

٧٦-Robert Dickson Crfane, Shaping the Future: challenge and Response (Massachusetts: Tapestry Press, 1997), p.105.

الفصل الرابع

تحديات العولمة وضرورة إعداد العقلية المسلمة الوسطية

مدخل

هناك ثلاث فرضيات وراء عنوان هذا الفصل: الأولى: الأهمية الكبرى للعولمة بوصفها ظاهرة عالمية معقدة متعددة الأبعاد لا يمكن فهمها بدون تحليلها من خلال إطار «النظام العالمي الجديد» الذي بدأ يظهر للعيان بقيادة وإملاء حكومة الولايات المتحدة الأمريكية. والتوجهات الأخيرة في الاقتصاد العالمي والشؤون الدولية تؤكد الشكوك القوية السابقة لدى دول الجنوب المتمثلة في كون العولمة أداة للتحكم الاقتصادي والثقافي والسياسي الجديد– إمبريالية جديدة– تستخدم من قبل القوى المادية العظمى في العالم للسيطرة على البلدان الضعيفة، وعلى وجه الخصوص العالم الإسلامي.

الثانية: أن عقلية المجتمع المسلم ليست مستعدة بما فيه الكفاية لمجابهة تحديات العولمة أو «النظام العالمي الجديد». والمجتمع الملايوي، مثل غيره من المجتمعات الإسلامية، سيكون في مأزق إذا لم يغير عقليته السلبية بسرعة كافية للتعامل مع الظروف والسيناريوهات الجديدة.

الثالثة: القضيتان اللتان تم الحديث عنهما آنفاً ستؤثران تأثيراً كبيراً على التعليم والاقتصاد والسياسة في ماليزيا، لذا فإن الإتيان بالحل أو المعادلة الصحيحة يأخذ طابعاً مهماً من أجل ضمان بقاء المجتمع المسلم ودولة ماليزيا في المنطقة وفي العالم.

إن ظاهرة العولمة لم تغير التجارة العالمية والاتصالات والعلاقات الاقتصادية في الجزء الأخير من القرن الماضي فحسب؛ بل إنها بدأت بترك آثار عميقة على التعليم في بداية هذه الألفية الثالثة؛ حيث أصبح التعليم العالي جزءاً من «السوق العالمية»، كما أدت التطورات الحاصلة في تقنية المعلومات والاتصالات إلى إيجاد ثورة في التعليم العالي من خلال ظهور أشكال جديدة للتعلم والتعليم.

إن ظهور منهج للتعليم العالي قائم على قوى السوق ومبني على أساس اعتبار العملية التعليمية منتجاً أو سلعة، واعتبار الطلبة زبائن أو مستهلكين، يتطلب طرقاً جديدة لنقل المعرفة والمهارات وتقويم جودة المواد والبرامج في الجامعات الحكومية.

إن تحويل التعليم العالي إلى سلعة سيؤثر بلا شك على الطريقة التي يدرك بها المدرسون والمعلمون دورهم الذي يمارسونه في العملية التعليمية، ومن المحتم أن ينشأ توتر أو نزاع بين الأهداف الإنسانية والروح المادية الموجودة في العمل التعليمي الجديد.

- بعض تعريفات العولمة:

أدت نهاية الحرب الباردة وظهور النظام الأحادي العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية إلى تزايد عمليات العولمة المتعلقة بالتغيير العالمي للاقتصاد والتكنولوجيا والسياسة والثقافة الذي تمليه وتفرضه قوى الغرب المنتصرة (M.E. Selim، ٢٠٠٣).

إن دمج تقنية المعلومات بالتجارة، والعمليات البنكية، والإعلام، والاتصالات أدى إلى تسارع عملية العولمة بشكل منقطع النظير، وفيما يلي بعض التعريفات والتصورات لظاهرة العولمة:

١ - اندماج العديد من العمليات التي تحدث على النطاق العالمي بالهياكل المحلية؛ وهوما يسمح لاقتصاد دولتها وسياستها وثقافها وأيديولوجيتها أن تخترق دولة أخرى. إن سلسلة السببية تبدأ من إعادة التنظيم الحيزية للعملية الإنتاجية إلى التجارة العالمية وإلى دمج السوق المالية (Mittelman، ١٩٩٧:٣).

٢ - الدمج الإجباري للأسواق والدول والتقنيات إلى حد لم يعهد من قبل، وبطريقة تمكن الأفراد والشركات والدول من التنقل حول العالم بشكل أسرع وأعمق وأرخص من أي وقت مضى قبل انتشار رأسمالية السوق الحرة

والوصول إلى أي دولة في العالم (T.l. Friedman،١٩٩٩:٧-٨).

٣ - لقد أنتجت عملية العولمة العديد من الأمور الجديدة في اقتصاد وسياسة العالم، لكنها لم تغير الطرق الأساسية التي تعمل الرأسمالية من خلالها، وفضلاً عن ذلك فلم تقم بالكثير في سبيل مساعدة قضايا السلام أو الرفاهية(Magdoff، ١٩٩٢/١-٤).

٤ - على الرغم من إمكانية القول بأن «عملية العولمة» ليست أمراً جديداً، لكون البشر قد مارسوا دوماً عملية تفاعلية خلال تاريخهم الطويل، فإن عولمة اليوم مختلفة، وهذا يرجع إلى السرعة التي تتم من خلالها العولمة، وإلى كونها مدفوعة من خلال أشكال تواصلية جديدة مثل الشبكة العنكبوتية وتحكمها قوانين مختلفة، وفي الكثير من الحالات لا تحكمها أي قوانين على الإطلاق. (Mohammadi، ٢٠٠٢:٣).

٥ - حسب اقتراح هوبس باوم (١٩٩٩) فإن «العولمة تعني إتاحة أوسع لكن ليس بالضرورة إتاحة عادلة للجميع، وبالتالي ستؤدي إلى زيادة الفوارق بين الأغنياء والفقراء».... لكن الملايين من البشر حول العالم يشعرون بالعولمة لا على أساس كونها عاملاً للتقدم... إنما على أساس كونها قوة ممزقة تصل قوتها التدميرية إلى حد الإعصار في قدرتها على تحطيم حياة الناس ووظائفهم وتقاليدهم. . (Mohammadi، ٢٠٠٢/٣-٤).

- قلق حول النتائج السلبية للعولمة:

يحاول مؤيدو العولمة إظهار الجوانب الإيجابية الآتية للعولمة (Muzaffar، ٢٠٠٢).

١ - ساعد الاستثمار الأجنبي المباشر (FDI) على انخفاض الفقر من خلال إيجاد فرص عمل وتحسين مستوى الدخل.

٢ - أدى اتساع التجارة والاستثمار الأجنبي إلى تسريع الحركة

الاجتماعية وتقوية الطبقة الوسطى.

٣ - ساعدت التقنيات الجديدة في الاتصالات والمعلومات على نشر المعرفة في العديد من مجالات الدراسة والتخصصات.

٤ - الاتصال أصبح أرخص وأسهل، وقد أدى ذلك إلى انخفاض تكلفة المكالمة الهاتفية والسفر بين البلدان.

٥ - ما سبق سهل عملية فهمنا لبعضنا البعض، وأصبحت المجتمعات- على الرغم من اختلافها وتنوعها- قادرة على أن تكون متعاونة بصورة أكبر؛ لوجود وسائل أكثر تعين على الفهم المشترك.

٦ - العولمة جعلت من الممكن للبشرية أن تشعر بالعطف والحنان تجاه أفرادها متى ما أصابتهم كارثة طبيعية أو من صنع الإنسان.

٧ - إبراز وعرض قضايا مثل حقوق الإنسان، والمساءلة العامة، والمشاكل التي تعاني منها المرأة.

إن الآثار السلبية والضمنية للعولمة، خصوصاً بالنسبة إلى البلدان الفقيرة والضعيفة في العالم الثالث أكثر بكثير من الآثار الإيجابية، وفيما يلي ذكر لبعض تلك الآثار (Muzaffar، ٢٠٠٠):

١ - التآكل البيئي الناتج عن الأنشطة المفرطة لقطع الأشجار التي تقوم بها الشركات العالمية سعياً وراء هدفها الوحيد المتمثل في مضاعفة أرباحها.

٢ - على الرغم من انخفاض مستوى الفقر إلى حد معين، فإن العولمة خلقت فوارق اقتصادية جديدة، وقد أدى هذا إلى حدوث تفاوت شاسع بين المناطق في مستويات الفقر.

٣ - تم إغفال الحاجيات الأساسية للحياة في سبيل الحصول على أرباح أكبر، فالعديد من دول الجنوب مشغولة بتسهيل الاستثمارات الأجنبية في

صناعات تدر أرباحاً كبيرة للأسواق الأجنبية بينما تتناسى الحاجيات الأساسية لمواطنيها.

٤ - تساعد العولمة على إزالة القيود المحلية المفروضة على التدفقات المالية التي تتم عبر الحدود. وقد أدت هذه التدفقات المالية لرأس المال من دولة إلى أخرى إلى اضطراب بعض العملات المحلية خصوصاً في منطقة جنوب شرق آسيا.

٥ - التقدم المطرد في التكنولوجيا فضلاً عن تدفق رأس المال إلى مواقع الإنتاج الرخيصة في بلدان الجنوب تسبب في ارتفاع نسبة البطالة التي تعد إهانة للكرامة الإنسانية في بلدان الشمال.

٦ - روجت العولمة للثقافة الاستهلاكية، التي مهدت الطريق لميلاد المادية التي جعلت الناس يهتمون بما يمتلكونه من أمور أكثر من اهتمامهم بالجوانب الأساسية للإنسانية.

٧ - الاستهلاكية العالمية تعمل الآن على إنشاء وتكوين ثقافة عالمية متجانسة تهدف إلى استبدال ثقافات الجنوب المحلية بالثقافات الغربية.

٨ - قطاع التسلية العالمي يعمل على إشاعة ثقافة سطحية تدغدغ الحواس وتميت الروح.

٩ - أنظمة التعليم الرسمية أضحت تركز على المهارات التفنية والإدارية استجابة لاحتياجات السوق، تاركة خلفها المواد الأكاديمية التقليدية، وهذا يعني أن التعليم لا يعدو عن كونه اكتساباً لمهارات وتقنيات معينة دون التركيز على التعليم الأخلاقي.

١٠ - على الرغم من أن ثورة تقنية المعلومات أدت إلى اتساع رقعة المعلومات، فهناك الكثير من المعلومات غير المفيدة التي لا تحتوي على أي معنى جعلت الناس ينشغلون بالكثير من الأمور التافهة.

١١ - وجود ازدواجية في المعايير في مجال حقوق الإنسان، حيث تستخدم هذه القضية كجزء من السياسة الخارجية للحكومات الغربية، لكن فقط عندما يكون ذلك مناسباً لمصالحهم.

١٢ - أدت العولمة إلى عولمة أنواع الجرائم كافة.

١٣ - أصبحت الأمراض أكثر انتشاراً في العالم، وقد أدى هذا إلى إيجاد صعوبات في التحكم بانتشارها.

من الواضح أن العولمة أداة جبارة للتوسع الاقتصادي الذي تهدف إليه القوى الكبرى، وفي الوقت نفسه، فإن العولمة تشكل هجوماً على السيادة الوطنية والثقافات المحلية والاستقرار الاجتماعي السياسي.

وبالنسبة إلى علي محمدي ومحمد أحسن الأستاذين في جامعة نوتنهام ترنت، فإن العولمة المعاصرة خطة أخرى لإعادة الاستعمار الغربي، وعلى العالم الإسلامي أن يصحو لهذه الحقيقة (Mohammadi&Ahsan، ٢٠٠٢) (انظر ملحق أ ، ب).

ومن القضايا القوية والمقنعة التي أقيمت ضد «الاقتصاد العالمي» وأبرزت مخاطر عولمة الشركات والرأسمالية ما عُرِض في مجلد واحد قام بتحريره جيري ماندر وإدوراد كولدسميث، وفيه يقول ماندر: تتطلب العولمة الاقتصادية أكبر إعادة تصميم أصولي لترتيبات الكرة الأرضية السياسية والاقتصادية منذ الثورة الصناعية..

يُطلب منا الاعتقاد أن العمليات التنموية التي أدت إلى إفقار الناس ودمرت الكرة الأرضية ستؤدي إلى نتائج مختلفة تماماً ومفيدة جدا إذا ما تم تسريع هذه العمليات وتطبيقها في كل مكان بحرية وبدون أي قيود؛ أي عندما تصبح هذه العمليات معولمة.

إن هذه هي الأخبار السيئة، أما الأخبار الجيدة فتتمثل في أن الوقت لم يفت

بعد لإيقاف هذا المشروع من الحدوث (Jerry Mander&Edward Goldsmith،١٩٩٦/٤-٥).

يقول ديفيد سي. كورتن مؤلف كتاب (عندما تحكم الشركات العالم) «١٩٩٥»، شارحاً أن البنك الدولي وصندوق النقد الدولي اللذين تم تأسيسهما في مؤتمر برتون وودز في عام ١٩٤٤ قد بقيا محافظيْن على أهدافهما المتمثلة في الدعوة إلى النمو الاقتصادي والعولمة، وقبل هذا فإن المجلس الأمريكي للعلاقات الخارجية بإيعاز من أعضائه «الذين كان لهم رؤية موحدة لاقتصاد عالمي تهيمن عليه مصالح الشركات الأمريكية» كان قد دعا إلى تأسيس مؤسسات مالية عالمية لإقامة مشاريع بناءة في المناطق المختلفة والنامية» (Jerr Mander& Edward Goldsmith، ١٩٩٦:٢) .

وقد خلص كورتن إلى أنه على الرغم من أن تلك المؤسسات قد حققت أهدافها المتمثلة في تحقيق النمو الاقتصادي، واتساع التجارة العالمية، والاستثمار الأجنبي المباشر، فإنها قد فشلت في تحقيق مقاصدها». يقول: «العالم لديه المزيد من الفقراء أكثر من أي وقت مضى، ولدينا فجوة متزايدة بين الأغنياء والفقراء. والعنف المنتشر يعمل على تمزيق العوائل والمجتمعات في كل مكان، والأنظمة البيئية للكرة الأرضية في تدهور مستمر وعلى نحو مرعب(Jerr Mander& Edward Goldsmith، ١٩٩٦/٢١-٢٢).

وقام ألن دورنينغ بتقسيم العالم إلى ثلاث طبقات استهلاكية: «المبالغون في الاستهلاك»، و«المؤازرون»، و«المهمشون». ٢٠٪ من سكان العالم الذين يستهلكون قرابة ٨٠٪ من موارد العالم هم المبالغون في الاستهلاك، بينما العشرون بالمائة الآخرون الذين يعيشون في فقر مدقع هم المهمشون. ومما يجب الإشارة إليه أن تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢ الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي قدم مصطلح «كأس النبيذ» بوصفه رسماً مجازياً

لعالم يعاني من ظلم اقتصادي رهيب.

يقول كورتن شارحاً: «والجزء المجوف من كأس النبيذ يمثل الوفرة التي يتمتع بها العشرون بالمائة الذين يقطنون في أغنى دول العالم ويحصلون على ٨٢,٧٪ من الدخل العالمي. وفي قعر ساق الكأس، في المكان الذي تركد فيه الشوائب سنجد أفقر الناس الذين يعيشون على ١,٤٪ من مجموع الدخل العالمي. ومجموع الدخل الذي يحصل عليه أغنى ٢٠٪ من البشر أكثر ٦٠ مرة من الدخل الذي يحصل عليه أفقر ٢٠٪ من البشر، وفضلاً عن ذلك هذه الفجوة قد تضاعفت منذ عام ١٩٥٠ عندما كان أغنى ٢٠٪ من البشر يستمتعون بمجموع دخل يعادل ٣٠ ضعف الدخل الذي يحصل عليه أفقر ٢٠٪ من البشر والفجوة في نمو مستمر. (David Korten) إخفاقات برتون وودز في (Mander&Goldsmith، ١٩٩٦، ٢٤).

ولقد تمت الإشارة إلى التوجهات المقلقة لسوء العدالة الاقتصادية في تقرير أنكتاد حول التجارة والتنمية لعام ١٩٩٧ الذي أشار إلى أن هذه التوجهات متجذرة في عدة قوى تم إطلاق العنان لها من قبل الليبرالية السريعة التي أوجدت سوء عدالة أكبر من خلال محاباة مجاميع معينة من أصحاب الدخل على حساب مجاميع أخرى.

أما تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩، فقد ذكر «أن الدمج الاقتصادي يعمل على الفصل بين الاقتصادات النامية والانتقالية إلى قسم منتفع من الفرص العالمية وآخر غير منتفع منها»(Chee Yoke Ling، ٢٠٠١) . حتى البنك الدولي يعترف في تقريره عن التنمية العالمية للعام ٢٠٠٠/٢٠٠١ أن «العالم لديه فقر عميق وسط الوفرة».

من بين سكان الأرض البالغ عددهم ٦ بلايين يعيش ٢،٨ بليون منهم- قرابة النصف – على أقل من دولارين في اليوم، و١,٢ بليون – الخمس – يعيشون في فقر مدقع على أقل من دولار واحد. وفي عام ١٩٩٨ بلغت حصة

الدخل لأغنى ٢٠٪ من البشر أكثر ١٣٥ مرة من حصة الدخل لأفقر ٢٠٪ من البشر. فالتفاوت الحالي في الدخل بين الطبقتين العليا والسفلى يقدر بحوالي ١ - ١٥٠ (International Herald Tribune Feb. ٥، ١٩٩٩، quoted in S.M. Mohamed Idris ٢٠٠١: ١١).

وإذا ما وضعنا في عين الاعتبار أن العولمة الحالية برزت إلى الساحة من جراء الجانب العالمي للرأسمالية المتمثل بخطة «التنمية والتحديث»، وأنها بناء على ذلك «مرحلة أخرى من مراحل تطور الرأسمالية»(Shamsul Amri Baharuddin ٢٠٠١:٤) حينها يمكننا أن نفهم بسهولة التفاوت المتسع الحاصل بين سكان الكرة الأرضية.

وقد قام سمير أمين (١٩٩٧) بتبيان خمسة أسس للنظام العالمي ذي الظلم الجسيم:

١ - الاحتكار التقني الذي تمارسه دول غربية غنية قليلة.

٢ - الأسواق المالية في نيويورك ولندن وفرانكفورت وطوكيو التي تسيطر على السوق العالمية.

٣ - احتكار الموارد الطبيعية للكرة الأرضية والتحكم بها من قبل نخبة عالمية.

٤ - احتكار الإعلام ووسائل الاتصالات كجزء من اقتصاد السوق والرأسمالية العالمية.

٥ - احتكار أسلحة الدمار الشامل.

أما العامل السادس الذي ساعد على التغير العالمي السريع وتحول اقتصاد العالم ولم يذكره سمير أمين، فهو الإبداعات المتميزة في مجال تقنية المعلومات والاتصالات (Mohammadi، ٢٠٠٢: XII-XIII). وإذا كانت العولمة الرأسمالية لا يمكن إيقافها، كما يدعي ذلك مناصروها

المتحمسون، فعلينا أن نفترض أن مأزق شعوب الأرض الفقيرة والضعيفة سيزداد سوءاً، لذا بإمكاننا أن نشارك البابا جون بول قلقه الأخلاقي عندما قال: «يجب أن لا نسمح للحقائق الجديدة التي تؤثر بقوة على العملية الإنتاجية المتمثلة بعولمة المال والاقتصاد والتجارة والعمل يجب أن لا نسمح لتلك الحقائق أن تنتهك كرامة ومركزية الإنسان، أنا أشعر بالقرب روحياً من هؤلاء الناس الذين أجبروا على العيش في الفقر الذي يهين كرامتهم ويمنعهم من المشاركة في خيرات الأرض ويجبرهم على إطعام أنفسهم من بقايا الفضلات التي تسقط من موائد الأغنياء». (Dawn، ٢ May ٢٠٠٢، as quoted in Mohammadi، ٢٠٠٢:١٣).

إن فهم المسلم المثقف للعولمة يجب أن لا يكون بسبب آثارها العدوانية الاقتصادية أو البيئية، بل يجب أن يكون بسبب سرعتها وشموليتها ومهمتها اللادينية. هذا الشأن عبر عنه الدكتور مراد ولفريد هوفمان (دبلوماسي ألماني اعتنق الإسلام) عندما قال: «العولمة» شاملة لأنها تقوم أيضاً بنقل الفلسفة الإيجابية الغربية للحياة Weltanschauung ونموذجها المادي، وأيديولوجيتها العلمانية... عولمة اليوم تحدث في وضع تسيطر فيه حضارة إلحادية قائمة على التقدم المادي، وكنتيجة لهذا فإن الإلحاد يتم تصديره أيضاً.. يبدو أن العولمة تعمل على إعادة الاستعمار ليس عسكرياً أو سياسياً وإنما ثقافياً أيضاً. (Hofmann، ٢٠٠٢).

الرئيس الأسبق لوزراء ماليزيا (١٩٨١ – ٢٠٠٣) داتو سري د. محاضير محمد، كان وما زال أحد أكثر نقاد العولمة تعبيراً وصراحة وثباتاً من بين قادة العالم، وبناءً على رأيه، فإن العولمة تعني: الإمبريالية الغربية الجديدة، أحادية القوة الكبرى، تدمير السيادة الوطنية، العبودية لصندوق النقد والبنك الدوليين، المتوحشين المتلاعبين بالعملات، اندماج البنوك والشركات العملاقة كي تبتلع الشركات المحلية، كما تشكل العولمة بالنسبة إليه خطراً على البلدان الإسلامية والإسلام «الذي يعد ديناً لا يحتمل

الهرطقة»، وأيديولوجية تحاول خداع العالم الثالث. ويرى العولمة حسب تفسيرها الحالي على أنها «من بنات أفكار الرأسمالية المطلقة، وهدفها هو تكبير مجال الأنشطة الرأسمالية كي تشمل العالم بأكمله». (Mahathir Mohamad، ٢٠٠٢: ١٠١). وفي رأيه، فقد قام أصوليو السوق وعلماء العولمة بترفيع بعض المبادئ التي يطلقون عليها تسميات «البقاء للأفضل»، و«الفاعلية الاقتصادية»، و«زيادة الأرباح»، و«كسب المال»، وجعلها أهم الأسس الأخلاقية لدينهم.

ويدعو د. محاضير إلى «عولمة جديدة تعمل على خدمة الأثرياء بشكل أقل وتعمل على خدمة الفقراء بشكل أكبر». (Mahathir Mohamad، ٢٠٠٢-٨٧). بالنسبة إليه «فإن العالم المعولم سيكون بلا معنى إلا إذا كان عالماً ثرياً وعادلاً». كان ومازال يدعو إلى الحاجة إلى عقد شراكات ذكية، عملاً بطريقة «اجعل جارك يزدهر»، والسماح لدول العالم الثالث بأن تنمو بالسرعة التي تحددها وفقاً لمعادلتها التي تعمل بها. إن العولمة الحرة وغير المقيدة «لا بد أن يستفهم عنها وأن لا تترك الدول الغنية لتحديد ماهيتها، وفضلاً عن ذلك فعلى الدول النامية أن تعمل سوياً من أجل المطالبة بالمشاركة في اتخاذ القرارات التي تشكل العولمة. كما يجب على العولمة أن تُحكم من خلال قوانين وممارسات تحمي الدول من الاضطرابات الاقتصادية المتكررة».

إن من بين التحديات التي تواجه الجامعات في ماليزيا، وغيرها من بلاد المسلمين، ما يلي:

١- توفير تعليم عالٍ ذي جودة لأربعين بالمائة من الفئة العمرية الجامعية من ١٧-٢٤ سنة، بما في ذلك استخدام ونشر تقنية المعلومات والاتصالات.

٢- ضمان جودة محتوى البرامج التعليمية المُقدمة، واحتوائها على أحدث ما توصل إليه العلم، وأن تكون البرامج ذات معايير عالمية.

٣- التركيز على تحسين القدرات الإبداعية والابتكارية لدى الطلبة في تخصصاتهم المتعددة، وإعدادهم كي يكونوا متعلمين مستمرين.

٤- أن تصبح الجامعات مؤسسات معرفية حقة تسعى بنشاط إلى تكوين، ونشر، وتبني، وتسخير المعارف الجديدة.

٥- التميز في مجال البحث والتطوير من خلال الاشتغال بالآتي:

أ- تطوير منتجات وخدمات وتقنيات جديدة من خلال تسخير التجارب الماليزية في مجال التصنيع، وبقية المجالات الأخرى.

ب- تصدير الاكتشافات المتعلقة بتحويل السلع الماليزية إلى منتجات جاهزة ذي قيمة عالية(David N. Adbulai ;ed..P ٢١).

وسأضيف تحدياً سادساً إلى التحديات الخمسة المذكورة آنفاً يتمثل في التوصل إلى عمل موازنة صحيحة بين الحاجة الماسة لتعليم مهني، وضرورة التعليم الهادف إلى بناء الشخصية حتى يصبح المهنيون أشخاصاً يتحلون بالاستقامة الأخلاقية، وحتى لا يستسلم قادة المستقبل لمغريات الشهوات المادية المتمثلة في الغنى والقوة والمكانة.

وعن طريق استخدام المهارات والمعرفة الصحيحة سيستطيع خريجونا المساهمة إيجابياً في الجهود التي تسعى إلى جعل الاقتصاد أكثر مرونة وقدرة على التنافس من خلال الابتكارات التنقية، والاستغلال الإبداعي للأسواق الجديدة، وتطوير منتجات وخدمات جديدة. (David N. Adbulai (ed.) P.86).

- ضعف المسلمين

إن مواجهة تحديات العولمة مقترنة بالآثار السلبية للعولمة، والمادية، والإمبريالية الجديدة، والعبودية للبنك الدولي وصندوق النقد الدولي، والأحادية، والرأسمالية الليبرالية المحاربة، وخداع وتلاعب المجموعات

الإعلامية العالمية، وإفقار ومحو التنوع الثقافي، والتعرض لمضايقات الأطراف القوية، والانفتاح المفروض، وهيمنة السوق العالمية، والمنافسة العالمية والإقليمية، وسلعنة التعليم، والانحطاط البيئي، والانحلال الأخلاقي، والجرائم التقنية، والعنف والحرب، كل هذه الآثار وغيرها الكثير في وقت يعاني فيه العالم الإسلامي من الضعف والفقر والتفكك، لا شك تستدعي أكثر من تغيير للعقلية.

يجب على المجتمع المسلم في ماليزيا ،وغيرها، أن يمتلك الموارد اللازمة (البشر، الوقت، المال) فضلاً عن الوحدة، والقدرة، والقوة، والخفة، والهياكل، والأنظمة، والمؤسسات، والوقت الكافي لتفادي النتائج السلبية للعولمة، ولكن في الوقت نفسه انتهاز وإيجاد الفرص كي نصبح أقوى وأكثر مرونة، وأكثر تنافساً وأكثر معرفة، وأكثر احتراماً. ولا شك في أن تعليم الأجيال الشابة تعليماً متوازناً وكلياً وشاملاً هو العامل الرئيسي للنجاح والقوة والعيش بكرامة كمجتمع وكدولة.

منذ الاستقلال عام ١٩٥٧ والقادة والمثقفون الملايويون يتصارعون مع قضية كيفية تغيير الجوانب السلبية للثقافة الملايوية، والنفسية الملايوية، والسلوك الملايوي، والعقلية الملايوية. من بين الكتابات الأولى التي تعرضت لهذا الموضوع وحاولت إحداث نقلة ثقافية كتاب (معضلة الملايو) لمؤلفه د. محاضير، و(الثورة العقلية) لمؤلفه سينو عبد الرحمن وآخرون، ومنذ ذلك الحين تم تنظيم العديد من المؤتمرات والاجتماعات في محاولة للبحث عن حلول للضعف الذي يعاني منه الملايو.

كلية التنمية الاجتماعية في جامعة uum قامت بنشر دراسة متعددة التخصصات للقيم الملايوية (Ahmad Fawzi Basri et. Al. ١٩٩٦)، بينما قام معهد العالم والحضارة الملايوية التابع للجامعة الوطنية الماليزية UKM بنشر مجموعة من الأوراق البحثية حول موضوع «بناء القدرة الملايوية خلال موجة العولمة». (عُقد المؤتمر في الفترة من ٣٠-

٣١يوليو ٢٠٠٢ كما يوجد أيضاً معادلة من صنع رجل واحد حول إعادة بناء الحضارة الملايوية الإسلامية Hashim bin Haji Musa،٢٠٠١

وفي كتاباتي السابقة قمت بتبيان خمس عشرة عقبة تواجه الملايو:

١- العقلية الليبرالية العلمانية.

٢- نمط حياة تفاخري ومناف للذوق السليم.

٣- مجموعة أعراض «السياسة القائمة على المال».

٤- مجموعة أعراض نسيج أخلاقي ضعيف.

٥- عقدة العبد والسيد والراعي والزبون.

٦- مجموعة أعراض التسول Lepak.

٧- مجموعة أعراض عدم التميز.

٨- مجموعة أعراض الاعتماد على الغير.

٩- الرعب من الرياضيات والعلوم.

١٠- نزعة الكسب قصير المدى.

١١- احترام متدنٍ لقيمة الوقت.

١٢- توجه مفرط نحو الغيبيات.

١٣- العقلية الخرافية.

١٤- مجموعة أعراض حب الفتنة والتشهير.

١٥- مجموعة أعراض الانحراف الديني (M. Kamal Hessian، ١٩٩٦، ٢٣٣-٢٥١).

بدأ نظامنا التعليمي يمر بمعاينة دورية وتغييرات منهجية من أجل إنتاج

النوع الصحيح والمتميز من الموارد البشرية ذات العقلية والتوجه الصحيح. مدرسونا ومحاضرونا وأساتذتنا مطالبون بإيجاد طرق ووسائل تمكننا من تحقيق هدف التميز الأكاديمي وخلق توجه تنافسي، ومرن، وإبداعي بين طلبتنا، لكن في الوقت نفسه يجب أن لا يتم التخلي عن أو تهميش مهمة صناعة شخصية مستقيمة أخلاقياً ونقية روحياً، ومع ذلك فإن نظام التعليم الرسمي لن يكون بمقدوره تحقيق الهدف المرغوب.

يجب أن تتضافر جهود مؤسسة العائلة، والإعلام، والثقافة السياسية، والمثقفين، وعالم التجارة، وعالم الترفيه، والقادة السياسيين من أجل تتميم دور المدرسين والمحاضرين لتحقيق التغييرات المطلوبة.

- العقلية الضرورية الجديدة

في ضوء تحديات العولمة والنظام العالمي الجديد، لا بد أن نوضح ونبين العقلية الجديدة التي يجب على الماليزيين المسلمين، وغيرهم، امتلاكها إذا ما أرادوا المحافظة على بقائهم في القرن الحادي والعشرين. هذه العقليات هي كالآتي:

١- عقلية التنافسية لتحل محل العقلية الراضية والعادية.

٢- عقلية العالمية لتحل محل عقلية القرية.

٣- عقلية وحدة الأمة لتحل محل عقلية المنافسة السياسية الحزبية، والعصبية، والكراهية.

٤- عقلية التفكير الحضاري لتحل محل المثالية السياسية والتفكير المبسط.

٥- عقلية الوعي النوعي ليحل محل التوجه الكمي وثقافة المألوف والعادي.

٦- عقلية الوطنية لتحل محل قلة الحب تجاه الوطن وعدم معرفة التاريخ الحديث للدولة.

٧- عقلية حب المعرفة والحكمة لتحل محل حب ثقافة البوب والترفيه.

٨- عقلية احترام الوقت لتحل محل الإساءة للوقت وعدم الاهتمام بمراعاة المواعيد.

٩- عقلية الاحتفاء بما يستحق العظمة لتحل محل ديانة عبادة الشخصيات الإعلامية المشهورة.

١٠- عقلية الخلافة الجديرة بالثقة والمسؤولة لتحل محل التوجهات الإقطاعية.

١١- عقلية ضرورة الاتسام بالقوة في كل النواحي لتحل محل ثقافة الرضا بالمعايير أو الإنجازات العادية.

١٢- عقلية رعاية وحماية البيئة بوصفها أمانة من عند الله تعالى لتحل محل العقلية الاستغلالية والأنانية أوالتوجه القائم على مقولة «لا يمكن أن أكون منزعجاً».

١٣- عقلية تقوى الله عز وجل في كل الأفعال لتحل محل التوجهات المادية والأنانية والذاتية.

١٤- عقلية النمو والتطور الكلي لتحل محل العقلية العلمانية المجزأة.

١٥- عقلية الجدية والانضباط لتحل محل الفكر الواهن وافتقاد الانضباط والعجلة في الأمور الدنيوية.

ومن أجل أن نجعل هذه العقليات جزءًا متمماً لثقافة المسلمين الجديدة، على كل القوى الاقتصادية والسياسية والتعليمية في البلاد أن تعمل على تعزيز هذه العقليات بصورة انتظامية ومستمرة بوصفها استراتيجيات جديدة للهندسة الاجتماعية وبناء الدولة.

وتقع على عاتق المؤسسات التعليمية مسؤولية كبيرة في تحويل الجيل

الجديد من الماليزيين المسلمين، لذا يجب عليها أن تخضع لعملية تحويلية كي تكون مجهزة بطريقة أفضل لمواجهة مخاطر النظام العالمي الجديد. انظر: Edmund O.Sullivan التعليم التحويلي،١٩٩٩، و Zahra Al Zeera الكمال والقداسة في التعليم، ٢٠٠١. لكن الجهود التي تبذلها المؤسسات التعليمية لن تؤتي ثمارها إذا قامت مؤسسات التعليم غير الرسمية مثل الإعلام، والعائلة وقطاع الترفيه، والأحزاب السياسية بتسليط الضوء على قيم أو تصورات تناقض أو تلغي جهود التعليم الكلى وغرس التصورات الأخلاقية والروحية في جوانب التنمية الوطنية كافة.

وعلى الصحافة المطبوعة والإلكترونية أن تشعر بالمسؤولية تجاه ترويج العقلية الجديدة القائمة على القوة الكلية من خلال تقليل كمية المعلومات التافهة والسطحية؛ لأنها تعد بمثابة السم لعقل الجيل الشاب وروحه. لذا وجب على الآباء أن يكونوا أكثر مسؤولية في غرس الانضباط الأخلاقي وحب المعرفة واحترام الطبيعة والناس من مختلف الأعراق والأديان، والتعرض للمساءلة أمام الله تعالى، وثقافة التميز الشامل.

أما القطاع التجاري والصناعي الماليزي فعليه أن يرسل رسالة واضحة مفادها أن النجاح في الاقتصاد قائم على خلطة تتكون من العمل الشاق، وتطبق المعرفة ذات الصلة، والالتزام بالقواعد الأخلاقية، وليس من خلال الطرق المختصرة، والرعاية، والفساد والاستغلال غير الأخلاقي أو التلاعب.

يجب على القطاع التجاري والصناعي أن يوافق على أن الربح الشرعي لا بد أن يتم بالمسؤولية الاجتماعية، والشعور بالواجب الأخلاقي تجاه المجتمع لضمان بيئة نظيفة وسليمة عندما يروجون للتنمية والتصنيع.

أما صناعة الترفيه في ماليزيا فعليها أن تكون حساسة لمخاطر الإمبريالية الثقافية من خلال عدم استيراد أو تقليد الأشكال المنحلة والحسية للترفيه

من أماكن العالم الأخرى، وعلى مروجي الترفيه الثقافي أن يكونوا مبتكرين ومسؤولين بصورة كافية كي يعملوا على دمج القيم الأخلاقية في الترفيه الصحي والمحتشم.

أما الأحزاب السياسية فعليها أن تغرس روح الوطنية والوحدة الوطنية، وأن تقف موقفاً موحداً ضد طموحات الإمبريالية الجديدة بدل أن تخدم عملاء القوى العالمية المهيمنة.

إن الثقافة السياسية الجديدة التي يمكنها التصدي لمخاطر العولمة المادية والمفترسة في القرن الحادي والعشرين هي التي تضع قيمة عالية على مواصفات المعرفة، والاستقامة، والإيثار، وتقوى الله، والشخصية المحبة للناس التي تهتم برفع وإزالة أذى وألم الفقراء بدل الشخصية الانتهازية التي تعرف كيف تتلاعب بالسلطة والمال من أجل خدمة مصالحها ومصالح عشيرتها أو أسرتها أو بطانتها.

إذا أردنا أن لا تتلاعب القوى العالمية للنظام العالمي الجديد بالنفوذ السياسي، فعلينا أن نُدخل فيها الغاية الأخلاقية العليا، وحب الوطن، والعدالة الاجتماعية، والفهم الحقيقي لسياسة العولمة أو الاقتصاد السياسي للنظام العالمي الجديد.

وتقع المدارس والجامعات تحت ضغط كبير لإنتاج النوع الصحيح من الموارد البشرية التي تحتاجها البلاد، لذا عليهم القيام بتطوير طرق التدريس لإحداث نمو كلي ومتوازن في الأفراد، يتم خلاله خلط احتياجات الطلبة الروحية والعاطفية والاجتماعية بطريقة متناغمة من أجل إنتاج الشخصية المتكاملة. لا بد أن يكون دمج المعرفة المهنية - بما فيها العلوم والتكنولجيا - بالقيم الأخلاقية والسلوكية أو دمج المنطق ومعارف الوحي بتقنية المعلومات والاتصالات وهذه هي السمة المميزة للعملية التعليمية في القرن الحادي والعشرين.

وعلى مدرس الدين المسلم أن يفهم ويحتضن العلوم والتكنولوجيا بوصفهما «علامات ربانية» في الكون كما يجب - في المقابل - على مدرس العلوم الدنيوية أن يُؤسس تصوراً أخلاقياً وميتافزيقياً في تدريسه وتعليمه. لا بد من تغيير طريقة تدريس الدين الإسلامي لضمان مناسبة وتطبيق التصورات الروحية والأخلاقية، والقيم والقواعد في الحياة المعاصرة، والاقتصاد الجديد، والنقاش الدائر حول حقوق الإنسان، ومشاكل المجتمع التعددي، وضرورة حوار الثقافات والأديان والحضارات، والقضايا العالمية ذات الصلة بالقضايا المستقبلية، وندرة الطعام والماء والطاقة، وقضايا الملكية الفكرية، والقضايا الإدارية المعقدة.

إن إعداد العقلية الضرورية للمجتمع الماليزي المسلم ليس بالأمر الهين؛ لأنه يتطلب خطة منسقة وموحدة وشاملة من قبل عوامل التغيير الاجتماعي كافة كي يتم تحول شامل للشعب الملايوي. وعلينا أن نضع نصب أعيننا أن الملايويين في الغالب شعب صبور، إلا أنه مقيد بالعادات ويمتلك النمط السلوكي لـ «رجل الطبيعة النبيل»، وقد تم تعريض هذا الشعب من القرن الثالث عشر وإلى القرن السابع عشر إلى تراث إسلامي قائم على التصوف فضلاً عن أنماط فقهية معينة، ليكون بذلك منفصلاً عن التراث الأندلسي الأكثر غنىً علمياً وتقنياً، والذي كان ممثلاً لحضارة إسلامية كلية.

إن مهمة تغيير العقلية الملايوية ليست بالمهمة السهلة إلا أنها في الوقت نفسه ليست بالمهمة المستحيلة التي لا تقهر. فالناس عادة ما يستيقظون من غفلتهم ويريدون الإفلات من سجن قصر البصيرة السياسية الذي فرضوه على أنفسهم عندما تنزل عليهم الكوارث والفواجع، كما حدث ذلك في ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية. إن النضال من أجل تغيير العقلية والسلوك الملايوي عملية مستمرة؛ لقد تم تحقيق الكثير إلا أننا ما زلنا بحاجة إلى فعل الكثير، خصوصاً في ضوء التحديات الجديدة للعولمة.

ومع بزوغ العولمة، ترتفع من جديد موجة الوعي الديني في العديد من

أماكن العالم بما فيها ماليزيا. لقد أصبح الوعي الديني والروحي من العوامل المهمة في حياة العديد من المجتمعات، ولكن هل يمكن للأديان المنبعثة أن تكون بمثابة الترياق النافع لقوى الفساد الشيطانية في عالم اليوم؟ وهل بإمكانها التصدي للانحطاط الأخلاقي؟

الفصل الخامس

العالم الإسلامي في القرن الحادي والعشرين

(الإقليم الملايوي - الإندونيسي نموذجا)

إن مسلمي جنوب شرق آسيا الذين يشملهم: أولاً دول الأغلبية المسلمة:إندونيسيا، وماليزيا، وبروناي دار السلام وثانياً دول الأقليات المسلمة: تايلاند والفلبين وكمبوديا وسنغافورا، ميانمار، وفيتنام، ينحصرون في الطرف الشرقي للعالم الإسلامي، في إقليم متعدد الأديان، كانت الهندوسية والبوذية والمذهب الروحاني هي الأديان السائدة لدى الشعوب حتى مجيء الإسلام.

لقد عاش مسلمو هذا الإقليم في تداخل وتفاعل لعقود من الزمن، مع جيرانهم الذين يتألفون من الكاثوليك والبروتستانت، والكونفوشيين، والتويستيين والبوذيين والهندوس والسيخ والروحانيين وعبدة الأسلاف.

وهذه الخلفية للتعدد الديني والثقافي والعرقي، بمميزاتها الخاصة وحركتها الديناميكية ومشكلاتها التي لا يمكن التنبوء بها، تشكل عاملاً مهماً في صبغ الفكر الديني السياسي، وسلوك المسلمين بمختلف دول جنوب شرق آسيا بطبيعته وصبغته الخاصة. والنظم السياسية المختلفة لهذه الدول، وطريقة تعامل كل دولة مع مسلميها، لتؤسسان عاملاً آخر، به تتحدد استجابات الإسلام المختلفة بوصفه قوة دينية سياسية في المنطقة، فالنظرة التاريخية لتطور الإسلام في جنوب شرق آسيا ستضع هذه الورقة في إطارها المفيد. وفيما يتعلق بهذا الأمر يمكن القول: إن المجتمع المسلم في العالم الملايوي الإندونيسي قد مرّ في عملية أسلمته بست فترات جوهرية:

أولها: حقبة اعتناقه الإسلام لأول مرة، والتي كانت مؤشراً على التغير العميق الذي طرأ على النظام الاعتقادي للمجتمع، حيث كان التحول من عقيدة الشرك (Polytheism) إلى عقيدة التوحيد الإسلامي (monotheism).

ثانيها: فترة الحياة في ظل سلطنات إسلامية مستقلة، مزجت العقائد والشعائر الإسلامية بعادات وقيم عالم ملايو ما قبل الإسلام، وهو ما سمح على مستوى العوام، بدرجة من الجمع والتوفيق بين معتقدات متعارضة (syncreticism) والتلفيق بين آراء مقتبسة من مصادر شتى (eclecticism).

ثالثها: حقبة مجيء حركات إصلاحية تجديدية لتطهير العقائد وتنقية الشعائر الإسلامية مما علق بها من بدع وخرافات، وإصلاح ما لحق بعقيدة التوحيد من انحراف.

رابعها: حقبة الكفاح ضد الإمبريالية الأوربية: الهولنديون في إندونيسيا، والبريطانيون في ماليزيا، والإسبانيون في مندانا؛ الأمر الذي استدعى معاني الجهاد وازداد الوعي به بوصفه وسيلة للمقاومة المسلحة لحماية الدين والأمة من المعتدي الأجنبي.

خامسها: فترة ما بعد الاستقلال، وهي الحقبة التي شهدت مجابهات إيديولوجية وسياسية بين حركات إسلامية ذات نزعة إصلاحية تجديدية، وبين قوى سياسية وأنظمة ونخب ذات ميول علمانية. ففي هذه الفترة نفسها ظهرت لأول مرة فكرة «الدولة الإسلامية»حيث وضعت في مواجهة خيار القوميين المفضل لنظام السياسة والحكم، وليس للدين فيه دور جوهري معتبر. فباتت فكرة «الإسلام طريقة شاملة وكاملة للحياة» وليس مجرد دين بالمفهوم الغربي، فكرةً رائجةً ومنتشرة على نطاق واسع في السبعينيات بين حركات الإصلاح والمفكرين الإسلاميين والشباب. وهي استجابة لتحديات العلمنة التي تتبعها النُّخب الحاكمة التي تشربت بالثقافة الغربية (Westernized) لإحداث التغيير باسم الحداثة والتقدم الوطني، فبات مصطلح «الدعوة» استعارة جديدة للإصلاحيين الإسلاميين النُّشطاء في نضالهم ضد التيار القومي.

سادسها: حقبة الصحوة الإسلامية – ما بعد عام ١٩٧٩م - التي أعقبت الثورة الإسلامية في إيران. ففي هذه الفترة وجدت الحركات الإسلامية والأحزاب السياسية ومنظمات الشباب، في كل من ماليزيا، وإندونيسيا، وتايلاند، والفلبين، عقداً جديداً لاستعادة الحياة، ودبّ التفاؤل من جديد في مجتمعات جنوب شرق آسيا، كما تسلل الفكر الديني، والسياسي الشيعي إلى بعض المفكرين الإندونيسيين في المدن إبان هذه الحقبة، ووجد موطىء قدم في أوساطهم.

وخلال فترة ما بعد الاستقلال، عرفت المجتمعات التي تقطن ما يعرف اليوم بإندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وتايلاند والفلبين، لأول مرة فكرة المؤسسات الديمقراطية البرلمانية والانتخابات العامة والأحزاب السياسية ونظام الحكومة والمعارضة وحكم الأغلبية، والمساواة في المواطنة والسلطة العليا لدستور الدولة... إلخ، فباتت السياسة هاجساً جديداً لتلك المجتمعات، وهو ما أدى إلى تحول ثقافي جذري فيها، وتحول اجتماعي لمسلمي إندونيسيا، وماليزيا، وتايلاند، وسنغافورة، ومسلمي مندناو أو جنوب الفلبين المعروفين بالمورو (Moros).

إن الجزء الأكبر من قوة القوميين كانت تستخدم لأجل القمع والسيطرة، وجزئياً استخدمت لتكييف الفكر الإسلامي السياسي المكافح في جنوب شرق آسيا.

- تحديات القرن الواحد والعشرين للعالم الملايوي

إن الإسلام باعتباره الدين الأساسي الذي يعتنقه حوالي مئتين وثلاثين مليوناً في جنوب شرق آسيا، سيبقى الدين الحيوى والقوة الثقافية والسياسية للمجتمع التي ستسهم - بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة - في استقرار المنطقة أو العكس، كما هو الحال في الدول التي توجد بها مجتمعات مسلمة.

وإذا رضخت المجتمعات المسلمة في إندونيسيا، وماليزيا، وتايلاند، والفلبين، أو سنغافورة لضغوط المتطرفين أو المجموعات المسلحة مع توفر وسائل أخرى لحل النزاعات سلميًّا، أو ديمقراطياً، ولم تستنزف بعد، أو إذا قررت الحكومات غير المسلمة في المستقبل أن تعامل المسلمين بها بقسوة أو صارت جائرة لسبب أو آخر، عندئذ حق للمرء أن يتوقع عدم استقرار المنطقة سياسياً في المستقبل.

ولكن توجد أيضاً عوامل أخرى عديدة تسهم في عدم الاستقرار، منها: ضعف القيادة السياسية، وعدم القدرة على حل القضايا الدستورية الأساسية، ومعاملة الأقليات بطريقة غير عادلة أو عدم إعطائها حقوقها كاملة، والصراع الخاص بالنزاعات الحدودية، والتلاعب بأسعار العملات أو تقليب رؤوس الأموال عن طريق مديري الصناديق العالمية أو عن طريق المضاربين بالعملة، والتنافس العرقي، والصراع على السلطة بوسائل غير ديمقراطية بين القوى السياسية المتنافسة، وانتشار الفساد بصورة واسعة، وأخيراً الإفقار المستمر للشعوب. كل هذه المتغيرات قد تركت آثارها في مجتمعات جنوب شرق آسيا ودولها.

إن إمكانية أن يصبح الإسلام قوة حضارية للسلام، والاستقرار، والتقدم، والانسجام والازدهار في جنوب شرق آسيا في القرن الحادي والعشرين يتوقف بدرجة أولى على عوامل داخلية وخارجية معاً، وبالقدر نفسه على التفاعل المشترك بين تلك العوامل.

ويمكن تلخيص مخطط العوامل الداخلية، ضمن أمور أخرى، فيما يلي:

١- التقدم والنضج التربوي

هذه هي المرحلة التي يحقق المسلمون فيها درجة عُليا من التعليم، وفي الوقت نفسه التوازن الصحيح بين التعليم الديني «الفروض العينية»،

والتعليم الدنيوي «فروض الكفاية»، مع قدر عالٍ من محو الأمية والقدرة على التحدث بلغات متعددة. ففي هذه المرحلة ترسخ ثقافة حب البحث عن كل المعارف النافعة، والتفوق الفكري، والسلوك العفيف. وعندئذ يندمج تنافس الكفاءات المعرفية والمهارات العلمية مع القيم الأخلاقية؛ فهي حالة يتلاشى عندها التعارض الثنائي بين العلماني والديني ليحلّ الانسجام والاندماج مكانه.

إن المسلم المتعلّم - في هذه المرحلة من النضج التراكمي - يدرك أهمية القوة المادية وقيمتها، كما يدرك أن السلطة الدنيوية وسيلة لتحقيق التقدّم الاجتماعي، والتحرر الاقتصادي، كما هي وسيلة لتحصيل السعادة والهناءة في الآخرة، ومن ثم يعمل العقل المسلم على أسس التفكير السليم المستوحاة من القيم المنزّلة، ويتّجه نحو التحليل الموضوعيّ وحل المعضلات، والتفكير المبدع الخلاق.

وفي الوقت الذي تصير ثقافة التفكير العلمي والعقلي معتدلة ملتزمة بالقيم الأخلاقية الروحية، تصبح راسخة يحتضنها المجتمع المسلم، وخاصة في دول جنوب شرق آسيا. وحين يصبح عدد من المسلمين العلماء والتقنيين والكفاءات مضاهين لنظرائهم في الدول المتقدمة، عندئذ يزدهر الخيار العلمي والتكنولوجي للثقافة الإسلامية، وعندها سيصبح الإسلام في جنوب شرق آسيا مَرْكزاً للتقدم المعرفي والحضاري، كما كان الحال في إسبانيا المسلمة. وعندئذ لن يظل الجيل المسلم المتعلّم في عالم ملايو - إندونيسيا مستهلكاً للمعرفة، ولكنه سيصير أيضاً منتجاً لفكر علمي جديد ومشاريع بحثية نافعة وأفكار سديدة.

وأخيراً، فإن المفهوم العام للعلماء في هذه المرحلة من النضج والتطور التربوي لن يبقى منحصراً في المتخصصين في المعارف الدينية، ولكنه سيكون مفهوماً شاملاً لكل علماء المسلمين في الفكر والكفاءة العلمية في كل التخصصات، أولئك الذين يتمتعون بصفة التقوى والتواضع والورع،

والذين ليسوا موجهين نحو الإعجاب بالنفس، بل إنّ بغيتهم رضى الله تعالى ورضوانه والإخلاص في السر والعلن.

وهذا الجيل الجديد من العلماء يجيد لغات متعددة، وعلى درجة عُليا من الوعي بتفجير المعارف، ويتصدى للمعضلات من زوايا متعددة مع الربط بين تخصصات وخبرات علمية مختلفة. وفي هذه الحالة ستكون الفتوى التي تصدر عنهم جماعية بالضرورة، موضوعية، ملائمة، متعددة الأبعاد، وجامعة بين تخصصات مختلفة.

٢-التقدم والنضج الأخلاقي

إن هذه المرحلة تؤسس، في رأينا، أهم مقوّم للاستقرار الشامل للمسلمين ورفاهيتهم. ومجتمع المسلمين الناضج أخلاقياً، أو الدولة المسلمة الناضجة هي تلك التي تتوافر فيها الخصال الآتية:

- القيادة فيها مثال للاستنارة والمعرفة والأمانة والصدق والعفة، وتكون قيادة واعية وخالية من الفساد.

- الناس متساوون حقاً أمام القانون الذي يُطبق بصورة عادلة من قبل قضاة مستقيمين، وتُنفذ أحكامه وفق القانون عن طريق قوة تنفيذية تتصف بالاستقامة والكفاءة الكاملة.

- العاملون في الخدمة المدنية يؤدون أعمالهم بمسؤولية وجدارة وأخلاق، والمرافق العامة تكون نظيفة وتدار بطريقة مهنية.

- جهود التنمية المادية والتكنولوجية والصناعية تكون بطريقة مخططة ويتم تنفيذها دون تقويض للتوازن البيئي، أو إتلاف لما يحتاجه الناس من الهواء النقي والماء النظيف وسلامة البيئة، مع توفير محلات عامة للاستجمام والراحة وعدد كاف ومناسب من أماكن العبادة.

- السلامة البدنية للنساء والأطفال والمعمّرين تُعطى الأولوية القصوى،

مع تقليل حالات الاغتصاب والسرقة والقتل.

- يصبح كلّ من الإعلام، المطبوع والإلكتروني، وسيلة ليس لتوفير المعلومات فحسب، وإنما أيضاً الترويج للصالح العام وللمشاعر الأخلاقية والتنمية الروحية.

- العلاقات العرقية والدينية المتداخلة تقوم على الاحترام المتبادل والسلامة، وعلى الثقة والتعاون في كل مجالات المصلحة العامة المتعلقة برفاهية الجميع.

- الحداثة لا تعنى المجاملة على عدم الاحتشام في الأماكن العامة، أو التسامح مع مذاهب المتعة الرخيصة والاتجاهات المثيرة بوصفها تسلية أو بوصفها ثقافة عامة.

- الثقافة والسلوك السياسي مؤسستان على مبادئ عالية من الخلق، والتصرفات غير الأخلاقية والعنف ممقوتان من القادة والأتباع على حد سواء.

- تظل مؤسسة الأسرة محمية وقوية، على الرغم من الحداثة والتمدن والتصنيع.

- الثروة البشرية هي مصدر تطور الدولة والمجتمع، وتعّبر عن أهمية تطوير الجانب الديني ودمج القيم الأخلاقية والروحية بالتعليم التخصصي المعاصر، إلى جانب تنمية المعارف والمهارات المناسبة.

يمكن التسليم بأن العوامل الداخلية المذكورة أعلاه مواصفات مستقبلية تستقر وتتجذر بمرور الزمن في مجتمع مسلم مثالي أو دولة إسلامية مثالية في جنوب شرق آسيا، ولكن إذا كان مقدراً للإسلام أن يسهم بقدر مهم في تقدم الحضارة الإنسانية في القرن الحادي والعشرين، ينبغي أن تصبح بعض هذه المواصفات، إن لم تكن جميعها، خصالاً لواحدة على الأقل من

الدول الإسلامية خلال العشرين إلى الثلاثين سنة القادمة.

إن دول الأغلبية المسلمة مثل: إندونيسيا، وماليزيا لديها الفرصة السانحة للنجاح في العقود القادمة في تطوير أسلوب للعيش المنسجم: بين الإسلام والديمقراطية، والإسلام وحقوق الإنسان العامة، والإسلام والتعدد الديني والعرقي، والإسلام وتقنية الاتصالات والمعلومات، والإسلام والمجتمع المدني، والإسلام والحكومة الرشيدة، والإسلام والحوار الحضاري، والإسلام والعدالة الاجتماعية، والإسلام والحداثة، والإسلام وحقوق المرأة.

إن إندونيسيا التي بها مئتا مليون مسلم لديها فرصة كبرى سانحة في التخطيط لتسامح إسلامي للتباين الثقافي والديني. وذلك على الرغم من أن العلاقة مع الكنيسة والأصولية المسيحية باتت مفعمة بالتوترات المتقطعة والعداوات خلال العقود الثلاثة الماضية.

إن إندونيسيا لديها، بلا شك، الطيف الأكبر والمجال الأوسع في المنطقة؛ فهي أكثر تقدماً وتنويراً بالنظر إلى رصيفاتها من دول المنطقة في الثقافة الإسلامية، ولا سيما في قضايا مقارنة الأديان والقضايا الاجتماعية السياسية. فالإبداع الثقافي الإندونيسي قد تمكن من ابتكار البديل الإسلامي في مجال الأدب والموسيقى والتسلية، مع ملاحظة أنها قد خرّجت العدد الأكبر من العلماء المسلمين الإصلاحيين، والقادة، ووعاظ الجماهير في جنوب شرق آسيا.

وإندونيسيا متقدمة أيضاً على رصيفاتها في المنطقة في قدرتها على تحويل المدارس الإسلامية التقليدية (Pesantren or Pondlk) إلى مئات من المؤسسات للتعليم المندمج الحديث، وهي مؤسسات مستقلة وتعتمد مالياً على ذاتها.

وأخيراً، إن عودة الديمقراطية بعد انهيار نظام سوهارتو عام ١٩٩٨، أعطى فرصة سانحة جديدة لإندونيسيا لتطوير ثقافة سياسية جديدة

مستقرة، قائمة على أسس التركيبة الديمقراطية الغربية، ثقافة موجهة بإجماع وطني وفكر إسلامي عصري مستنير، مع أن ظهور المجموعات الإسلامية المتطرفة جعلت الحكومة تتوجس خيفة، ولكن الشعب عامة بمن فيهم من الأغلبية المسلمة، معارض للعنف أو الترويج المتعصب والمتحمس للدين.

إن التصرف الإسلامي، إلى حد بعيد، يُعدّ مظهراً للغيظ المكظوم والامتعاض الشديد، إما ضد ما يرى المسلمون أنه عدوان وغطرسة وظلم واضطهاد غربي للمجتمعات المسلمة الضعيفة والمحرومة، خاصة في فلسطين وأفغانستان والشيشان، أو ضدّ ما يرونه من محاولات لدهاة الأصولية المسيحية العدوانيين لإخراج المسلمين من دينهم، أو ما يرونه من مكاسب جديدة متزايدة للطوائف المسيحية وسط المجتمع المسلم.

والنزاع الإسرائيلي الفلسطيني والفظائع التي تتخذ حكومة الولايات المتحدة فيها دائماً خطّ الدفاع عن إسرائيل تعطي عادة المسوغات المعقولة والحوافز الخارجية لتطور الأصولية الإسلامية، ليس في إندونيسيا فحسب، وإنما في ماليزيا أيضاً. ومن المحتمل عند ظهور نظام دولي جديد أكثر عدالة وتعددية في العقود القادمة أنه سيضعف من همة نمو الحركات الإسلامية المتطرفة، أو الحركات الميّالة للعنف في جنوب شرق آسيا إن لم يُقْضَ عليها تماماً.

- إن مفهوم مشاركة السلطة السياسية أمر غير معهود في الفكر السياسي الإسلامي التقليدي، ولكن المجتمع الماليزي التعددي والتاريخ قد أوجدا هذا المفهوم وجعلاه مستقراً ليكون أكثر طريقة عملية واعية لإدارة المجتمعات والأمم المتعددة الأعراق. والإدارة الصحيحة للخدمة المدنية والشركات متعددة الجنسيات من قبل المسلمين الملايويين المتخصصين،يمثل إنجازا آخر معتبرا لمجتمع شرق آسيا، فقد أسست بنوكاً وخدمات مصرفية إسلامية، وتأمينات وشركات ضمان، وهي الآن تتجه قدماً لقيادة السوق الإسلامية المستقبلية في المنطقة.

إن إدارة مسلمي الملايو الفاعلة والمبتكرة للحج عبر مؤسسة صندوق الحج (Tabung Haji) قد نالتْ تقدير العالم الإسلامي، حيث تُعدّها السلطات السعودية أفضل وأكثر نموذج ناجح لإدارة وتنظيم أداء فريضة الحج في العالم الإسلامي، وتناشد الدول الإسلامية الأخرى أن تتبع التجربة الماليزية الفعّالة في إدارة الحج وتنظيمه.

إن دول الأغلبية المسلمة في جنوب شرق آسيا في أثناء تحركها نحو تحقيق أهدافها المجتمعية والحضارية المتقدمة، سوف تُجَابَه قطعاً بمزيد من التحديات الخارجية: العولمة، التحرير الاقتصادي الإقليمي – وخاصة بعد إنشاء منظمة التجارة العالمية (WTO) ومنطقة التجارة الحرة لدول آسيا (AFTA) التي دخلت حيز التنفيذ عام ٢٠٠٥م - الضغوط القوية من قبل الولايات المتحدة، أو التحالف الأوروبي في النظام العالمي ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والمنافسة المتزايدة من القوى المسيحية المتطرفة في كل من إندونيسيا، وماليزيا، والفلبين).

إن الحرب العالمية ضد الإرهاب تسير الآن في المنطقة بصورة محمومة على العناصر الراديكالية وشبكتها المزعومة، والتي تغطي إندونسيا، وماليزيا، وسنغافورة والفلبين، هذا البند يريد بطريقة غير مباشرة، تأكيد وجود انقسامات دينية ضمن المجتمعات المسلمة، والتي تسهم في نهاية المطاف في عدم استقرار سياسي للدول المعنية.

هذا إلى جانب أن الركود الاقتصادي الحالي، والمشاكل المستمرة التي تعصف بالاقتصاد الياباني، والأجندة التحريرية ككل من منظمة التجارة العالمية (WTO) واتفاقية التجارة الحرة لدول آسيا (AFTA) كل ذلك سيعرّض للخطر الجهود الاقتصادية المبذولة من كل من إندونيسيا وماليزيا ودول الأقليات المسلمة، التي تكافح لاستعادة ما دمرته الأزمة الاقتصادية لدول شرق آسيا في عامي ١٩٩٧م، ١٩٩٨م.

فإن لم يتحسن وضع الاقتصاد الإندونيسي بصورة ملحوظة خلال العقد القادم أو بعده، فإن ثقافة الفساد الراسخة والمنتشرة بصورة واسعة ستُخْمد، للأسف، جذوة الخيار الفكري والسياسي الإسلامي الإيجابي. وبالمثل إن أُصيب الاقتصاد الماليزي بمزيد من الضعف في المستقبل القريب بوصف ذلك نتيجة للعجز الطويل في ميزان الاقتصاد الأمريكي، أو بوصفه نتيجة للمنافسة الصينية المتزايدة، فإن كل ذلك يحمل في طياته خيار العودة إلى التوتر العرقي بين الملايويين والصينيين وما يترتب على ذلك من نتائج مشؤومة على الأمة.

أما وضع جمهور الأقليات المسلمة في دول الأغلبية غير المسلمة في جنوب شرق آسيا، فسيتأثر أيضاً بصورة خطيرة بالأحداث الرئيسة التي تقع في المنطقة ولذلك، فإنه لأمر حاسم لأمم اتحاد جنوب شرق آسيا (ASEAN) أن تتعاون في تقوية اقتصاد المنطقة في وجه التحديات الخارجية.

إن مواصلة الحرب ضدّ الإرهاب أتاحت إرسال قواتها للتدريب والقتال جنباً إلى جنب مع القوات الفلبينية في منداناو ولتعزيز قواعدها في المنطقة. والطريقة المثيرة التي يصف بها الإعلام الغربي الراديكاليين الإسلاميين النشطاء في إندونيسيا، وماليزيا، وتايلاند أو الفلبين قد أعطت انطباعا للجمهور المُخَاطَب في الغرب بأن الدعوة الإسلامية تقوم على العنف،وأن دول جنوب شرق آسيا بصورة عامة غير مستقرة، وبالتالي غير آمنة للسياح الغربيين. ولسوء الحظ أن الإسلاموفوبيا (Islamophobia) الجديدة، والخوف من ضحايا التطرف الإسلامي قد ساعدا في إخماد حيوية تجارة السياحة في هذه الدول.

ومن المؤكد أن التطرف الإسلامي مسألة خطيرة تواجه الحكومات المعنية، ولكن أولئك الذين لهم دراية أفضل بالمنطقة والمجتمع الإسلامي سيتحفظون على تعميم رد الفعل أو إطلاق عبارات مطلقة ضد الإسلام بصورة عامة.

إن الموقف السلمي - غير المتصف بالعنف - للأغلبية المسلمة في جنوب شرق آسيا، وقدرة الحكومات المعنية، خاصة في إندونيسيا، وماليزيا، وتايلاند، على احتواء وضبط انتشار التطرف الإسلامي سيساعدان على سلب المجموعات الإسلامية المسلحة الدعم والتأييد الشعبي. أما نضال مورو (Moro) في منداناو فإنها حالة شاذة بدرجة كبيرة. ومع ذلك، من الأهمية بمكان ملاحظة أن التطرف الإسلامي أو الإرهاب أو الكفاح من أجل التحرير، كلها نتاج للشعور العميق بالظلم الاقتصادي أو السياسي واليأس والقنوط من عدم وجود حل لقضايا عُليا في نظر الأتباع المعنيين، مثل: إنكار حقوق الإنسان الأساسية والحريات المدنية، أو الظلم العسكري المستمر أو الاحتلال.

إن الصمود والاعتدال الإسلامي الراسخ في العراقة، والتسامح في المجتمع سيسودان تدريجياً في المجتمعات المسلمة في دول جنوب شرق آسيا. وذلك في الوقت الذي تعتزم حكومات الدول المعنية الانخراط في حفظ الانسجام والاستقرار السياسي الوطني والإقليمي. فإن هذه الحكومات قد مرت بتجارب سابقة وأظهرت قدرة، سواء على قهر الجيوب المسلحة الصغيرة المتفجرة، أو على التعامل مع المجموعات المتطرفة المتعصبة التي تهدد بتقويض الأمن الوطني بصورة خطيرة.

في تقرير خاص عن «الإسلام في آسيا» في مجلة الزمن (Time) العدد الصادر في العاشر من مارس ٢٠٠٣م، خرج من براثن الجهل والتحامل الأجنبي على الإسلام، ليعطي بحذر تصويراً إيجابياً للإسلام في آسيا، ويُطْري الإسلام في ماليزيا بإشارته إلى المجموعات الإسلامية ووجهات النظر المختلفة. وبالقدر نفسه يشير إلى الثقافة المحلية والقوة السياسية التي سوف تحول دون انتشار الأصولية الإسلامية.

في نظرنا، إن اعتدال الأغلبية المسلمة والقوة الحامية للتباين الثقافي سينتصران في نهاية المطاف، ويؤكدان أن التحديات الخارجية ليست من القوة بمكان بحيث تؤدي إلى خلق فترات طويلة من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي عند مسلمي جنوب شرق آسيا.

الخاتمة

على الرغم من التحدي متعدد الجوانب للعولمة، والرأسمالية الليبرالية، ومشكلات الأكثرية – الأقلية في مجتمعات جنوب شرقي آسيا، فإن لهذه المنطقة من الأمة الإسلامية الإمكانات والطاقات البشرية الجماعية اللازمة لتساهم في تنمية وتطوير وترميم بعض العلاقات السيئة، التي وصلت في بعض الأحيان إلى حد التوتر بين الغرب والعالم الإسلامي اليوم.

إن سلسلة الحلقات المأساوية في العلاقات الدولية بين هذين القطبين الليبراليين من العالم منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م يمكنها أن توصل العالم إلى حافة مواجهات دموية شرسة بآثار سلبية قاتلة ونتائج مروعة.

إنه لجدير بالتنويه إلى أن الكثير من النخب القيادية للدول الإسلامية في جنوب شرق آسيا في مجال السياسة الدولية، والمال والاقتصاد، والأكاديميين قد تعلموا أن فن التعايش السلمي والتسامح المتبادل كاف وقادر، منذ الحرب العالمية الثانية، على تجسير الهوة المفزعة والتي تبدو اليوم وكأنها تهدد السلم العالمي ولا تعيره الاهتمام الكافي. مع ذلك، فبالنسبة إلى هذه النخب، ولكي يمارسوا ذلك الدور بفعالية في السلام العالمي، فإنه ينبغي لصوتهم أن يُسمع، وأن يخرج من الهامش والعزلة أو من الربع الخالي الذي لا يسمع إلى مركز الأحداث الحيوية العالمية.

إن هذه النخب التي ترغب في نشر نهج الوسطية الإسلامية بحاجة إلى مساعدة وتفهم إخوانهم العرب لكي يتمكنوا من إيصال صورة الإسلام الوسطي – قليلة الصيت – التي تصدر من عالم وواقع جنوب شرق آسيا، وكذلك الخطاب الإسلامي المحلي الذي خرج من رحم هذا الوسط المتعدد لجنوب شرق آسيا.

إن واحدة من الصور المشرقة التي ينبغي أن تصل للعالم هي صورة الوسطية الإسلامية التي انعكست وتجسدت في شخصيات وخصائص

وسلوكيات المسلمين القاطنين في الأرخبيل الملايوي – الإندونسي، وكذلك في كتابات المفكرين والمثقفين المحليين.

إن قصص نجاح المسلمين في ماليزيا، وإندونيسيا، وبروناي دار السلام، وسنغافورة، وتايلاند والفلبين في حقول السياسة والحكم والتربية والتجارة والثقافة تمثل صوراً أخرى ينبغي إيصالها للآخرين وعلى مستوى عالمي.

إن التقويم الإيجابي والاعتراف الذي أعطته المؤسسات الدولية لمقاييس الجودة للمؤسسات الماليزية مثل: الشركة الماليزية للغاز (البترول Petronas) وبعض جوانب شركة الطيران الماليزية، كلاهما يداران من طرف موظفين مسلمين ملايويين، يستحق فعلا أن يُعرف بها في الإعلام العربي والغربي.

بالإضافة إلى إنجازات الكثير من النساء الملايويات والإندونسيات في مجالي القطاع العام والقطاع الخاص تمثل صورة مشرقة أخرى ينبغي التعريف بها في الشرق والغرب.. على سبيل المثال أحسن مدير بنك مركزي في عام ٢٠٠٥م كان من نصيب امرأة مسلمة ملايوية هي: الدكتورة زاتي أختار عزيز، وكذلك المرأة المسلمة الأولى في تاريخ البشرية التي تصل بنفسها إلى القطب الشمالي مشياً على الأقدام كانت امرأة مسلمة ملايوية، وأحسن امرأة في العالم الإسلامي في مجال المناظرة الدولية لطلبة القانون (the phillip Jessup Mooting Competition) التي عقدت بواشنطن عام ٢٠٠٥م هي طالبة ملايوية مسلمة من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وأن ثلاثاً من أربع متناظرات من فريق الجامعة الإسلامية العالمية حصلن على المرتبة الثانية في مناظرات ٢٠٠٥م، وهن طالبات ملايويات مسلمات يرتدين الزي الإسلامي الشرعي، ويتكلمن اللغة الإنجليزية بطلاقة وكأنهن إنجليزيات أصليات.

نهر متعدد.. متجدد

هذا الكتاب

إن المسلمين مطالبون بالسعي الدائب من أجل الحصول على المعرفة الدينية (فرض العين)، وعلى المعرفة الدنيوية (فرض الكفاية)، ومن المؤكد أنه، بدون تمكن قوي في المعرفة العلمية والتقنية والمهنية الاحترافية، ومن دون الخبرة والمهارات، لن يكون في مقدور المسلمين تحقيق التفوق في كل مجالات الحياة الحضارية المعاصرة، في الوقت الذي يدعوهم القرآن الكريم، ويحثهم باستمرار على سبر أغوار آيات الله في الآفاق، وفهم القوانين التي تتحكم في الطبيعة والعالم المادي...

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية